دعاء موسى ﷺ
في القرآن الكريم
(دراسة تحليلية موضوعية)

إعداد

د. سلمى داود إبراهيم بن داود

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلىٰ جمع الآيات التي ذكرت دعوات موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وتدبرها، ومعرفة هداياتها. ووزعت المادة العلمية في البحث: إلىٰ مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث. تناولت المقدمة: أهمية البحث، والخطة. وأما التمهيد فاشتمل علىٰ: معنىٰ الدعاء، وفضله، وثمراته؛ كما تناولت بيانًا موجزًا لقصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام، المتلوّة في القرآن الكريم. والمباحث هي كالتالي:

المبحث الأول: دعاء موسىٰ ﷺ فترة بلوغ الأشُد.

المبحث الثاني: دعاء موسىٰ ﷺ حين أمر بالنبوة والرسالة.

المبحث الثالث : دعاء موسىٰ ﷺ فترة إرساله إلىٰ فرعون.

المبحث الرابع : دعاء موسىٰ ﷺ فترة دعوته لبني إسرائيل.

المبحث الخامس: صيغ وأساليب الدعاء الوارد عن موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم.

وختم البحث بذكر أهم النتائج، وذُيل بفهارس خادمة له.

*　　*　　*

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: ٦٠]، والصلاة والسلام على القائل: (**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**)(١)، وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

فإن للدعاء منزلةً عظيمة عند الله، وكرامة؛ «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ**»(٢). ولذا افتتح القرآن بالدعاء في سورة الفاتحة، واختتم أيضاً بالدعاء في المعوذتين. والدعاء عنوان العبودية؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠]. فالدعاء إذًا هو العبادة؛ لذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [غافر:٧٧]. والعبد بحاجة ماسة للدعاء نظرا لفقره واحتياجه لمولاه وهو طلب من الأدنى للأعلى. وأكثر الناس التجاءً إلى الله تعالى هم الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام. ولدعائهم مزية خاصة، وأهمية بالغة؛ لأنهم أعرف الناس بكيفية مناجاة الله تعالى؛ لذا جرت على ألسنتهم دعوات طيبات، ملهمات من الله تعالى؛ فاستجاب لهم ربهم، وحقق لهم الأمل، والرجاء. ومن هؤلاء الكرام كليم الله تعالى موسى ﷺ.

ومع أهمية هذا الموضوع؛ إلا أنه لم يلق من العناية ما لقي غيره من الموضوعات المتعلقة بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فلم يكتب فيه استقلالا؛ لذا بقيت دراسة دعاء كل نبي بمفرده يسد نقصاً في هذا الجانب، ويضيف للمكتبة الإسلامية قبسات نورانية من حياة أولئك الرسل عليهم السلام.

ومن هنا فقد بدأت أتدبر كلمات هذا النبي الكريم في مناجاته لله تعالى، وأسميت البحث: دعاء موسى عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم، لينبئ عن

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب: الدعاء (٢/ ٧٦). وصححه الألباني في: صحيح أبي داود (٥/ ٢١٩).

(٢) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء (٣٣٧٠)، (٥/ ٤٥٥). وحسنه الألباني في: صحيح الجامع الصغير (٢/ ٥٩١).

مضمونه، فهو دراسة تحليلية موضوعية.

ويكتسب أهميته من ثلاثة جوانب؛ والتي لأجلها وقع اختياري على هذا الموضوع، وهي كالتالي:

الجانب الأول: أهمية الدعاء في حياة المسلم: فهو من باب العبادة، والتقرب إلى الله ﷻ بهذه الشعيرة العظيمة؛ لأن فيه إظهار الافتقار، والعجز، والحاجة لله تعالى، وفيه قضاء الحوائج، والاستعانة به على نوائب الدهر؛ حين تتقطع السبل، وتتقطع الأسباب، يقول تعالى في محكم الذكر مخاطباً نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالله سبحانه قريب منا، يسمع دعاءنا، ويستجيب لنا إن استجبنا له تعالى؛ بفعل الأمور الموجبة للاستجابة، والتي طبقها الأنبياء، والصالحون.

الجانب الثاني: أهمية دعاء الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام؛ الذين سلكوا أفضل الطرق وأقصرها إلى الله ﷻ. ومن المعلوم أنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل. ولا شك أن رسل الله تعالى وأنبياءه أعرف الناس بربهم؛ فقد أدبهم الله، وعلمهم، وألهمهم، فعرفوا كيف تكون مناجاته، وماذا يقول العبد لربه، وكيف يكون الدعاء والطلب. فليس هناك أفضل ولا أعظم من أدعية الأنبياء، والمؤمن يرى فيها كمال العبودية لرب العالمين، وما من دعاء لهم إلا وقدم صاحبه بين يدي دعائه توسلًا إليه تعالى به؛ فاستجاب لهم جميعًا، وأمرنا بالاقتداء بهم، قال الله تعالى بعد أن ذكر عددًا من أنبيائه في سورة الأنعام: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقد يتكلف بعض الناس في نسج الأدعية المسجوعة، مما يخرج هذه العبادة العظيمة عن جلالتها؛ إلى نوع من الزخرفة اللفظية - إن صحت العبارة -، والإهاجة العاطفية السطحية؛ التي لا يتذوق لذة المناجاة والعبودية، وإن استدرت المدامع أحيانًا.

بخلاف دعوات الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، المبثوثة في كتاب الله،

الدالة علىٰ كمال الإخلاص، وحسن الأدب في الخطاب إيجازًا، وبسطًا. فحري بنا أن نتأمل في تلك الابتهالات الإيمانية، ونتدبر آثارها، ثم ننسج علىٰ منوالها.

الجانب الثالث: أهمية إبراز وجه هداية القرآن في دعاء موسىٰ عليه الصلاة والسلام خاصة؛ لأن قصته كان لها النصيب الأوفر في الذكر ضمن قصص القرآن. حيث ذكر اسمه ستا وثلاثين ومائة مرة، في أربعة وثلاثين سورة. ووردت مناجاته في خمس عشرة آية، في السور التالية: المائدة، الأعراف، يونس، طه، الشعراء، القصص. والمتأمل لقصته في القرآن لا يسعه إلا أن يقف متعجبًا؛ لكثرة التجائه لربه، ومناجاته له سبحانه!. ففد كان له في كل موضع دعاء، وفي كل مرة مناجاة بما يناسب الحدث. فكان دعاؤه علىٰ حسب الحدث والحال، واللجوء إلىٰ الله في كل أزمة، في كل حال، في كل حين بحسب المناسب، واختيار الألفاظ المناسبة، ودعواته كان لها أبلغ الأثر. فحري بالمؤمن أن يتفكر، ويتأمل؛ كي يستفيد من أخباره عليه الصلاة والسلام، ويستخلص الدروس والعبر، وهو من أهداف إيراد القرآن الكريم لقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد بنيتُ هذا البحث علىٰ الخطة الآتية: مقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، والدراسات السابقة فيه، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه. **وتمهيد**، تضمن: معنىٰ الدعاء، وفضله، وثمرته، وقصة موسىٰ ﷺ المتلوة في القرآن الكريم؛ وفيه مطلبان: الأول: معنىٰ الدعاء، وفضله، وثمرته. والثاني: قصة موسىٰ ﷺ المتلوة في القرآن الكريم، مراحلها، وسبب تكرارها. وخمسة مباحث، متضمنة المطالب. وخاتمة، اشتملت علىٰ أهم النتائج، والتوصيات. والمباحث هي:

المبحث الأول: دعاء موسىٰ ﷺ فترة بلوغ الأشُد. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدعاء المتضمن للاعتراف بالذنب، والاعتراف بالمنعم.

المطلب الثاني: الدعاء المتضمن الفرار إلىٰ الله تعالىٰ من بطش الظالمين.

المطلب الثالث: دعاء الله تعالىٰ في السفر والحضر.

المطلب الرابع: الدعاء بإظهار الافتقار لله تعالىٰ.

المبحث الثاني: دعاء موسىٰ ﷺ حين أمر بالنبوة والرسالة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلب الأنصار والأعوان علىٰ الحق، والاستعانة بالله تعالىٰ في إنجاح مهمة الدعوة.

المطلب الثاني: الالتجاء إلىٰ الله ﷻ بالدعاء حال الخوف؛ للأمن من مكر الماكرين.

المبحث الثالث: دعاء موسىٰ ﷺ فترة إرساله إلىٰ فرعون. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعوذ موسىٰ ﷺ بالله، والاعتصام به من قتل قومه له.

المطلب الثاني: الدعاء المتضمن ليقين الداعي بتغير الأحوال من الشر إلىٰ الخير.

المطلب الثالث: مشروعية الدعاء بالهلاك علىٰ أهل الظلم إذا اشتد أذاهم وعُلم إصرارهم علىٰ الفساد.

المبحث الرابع: دعاء موسىٰ ﷺ فترة دعوته لبني إسرائيل. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: طلب رؤية الله تبارك ذو الجلال والإكرام.

المطلب الثاني: مشروعية الدعاء لمن أخطأ في حقه، بالمغفرة والرحمة.

المطلب الثالث: التوسل المؤدي لاستجابة الدعاء.

المطلب الرابع: الاعتذار في الدعاء، وطلب الفصل.

المبحث الخامس: أوصاف دعاء موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صيغ دعاء موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أساليب دعاء موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الدعوات العامة والخاصة لموسىٰ ﷺ في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: التعليق علىٰ ما ورد من أوصاف لدعاء موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم.

منهج البحث:

١- جمعت الآيات التي ورد فيها دعاء من موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

٢- قسمت الآيات التي ورد فيها الدعاء إلىٰ مباحث، ورتبتها ترتيبا تاريخيا لمراحل حياة موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

٣- وضعت عناوين توضيحية لكل مطلب.

٤- بالنسبة للاستدلال بآي القرآن الكريم أذكر الآية بنصها إذا دعت الحاجة لذلك، وكثيراً ما عنيت بذكر موضع الشاهد فقط من الآية.

٥- ذكرت المعنىٰ الإجمالي للآية، وبينت هداية الآية، وآداب الدعاء المذكور.

ومن الله تعالىٰ استلهم الرشد، وأفتقر إلىٰ ما عنده،واستهديه إلىٰ سواء السبيل، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين.

الدراسات السابقة:

لم أقف علىٰ مُؤلَّف علمي كتب عن أدعية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم. ولم أجد أحدًا كتب عن دعاء موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم؛ مما دعاني أكتب في هذا الموضوع من باب سد ثُلمة، وإضافة في الدراسات القرآنية. وقد وقفت علىٰ المؤلفات التالية في الدعاء، وهي كثيرة، وأخرىٰ في قصة موسىٰﷺ منها:

١- آيات الدعاء في القرآن الكريم – دراسة لغوية تركيبية بلاغية – لأنور سالم ابن محفوظ الرامي، رسالة ماجستير، ٢٠٠٤م.

٢- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، لعبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٣- شأن الدعاء، للخطابي، ت: ٣٨٨هـ، تحقيق أحمد الدقاق، دار الثقافة، ط:٣، ١٤٠٤هـ.

٤- الدعاء وأهميته في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في ضوء القرآن والسنة، لسليمان ابن قاسم العيد، جامعة الملك سعود، ١٤٢٤هـ.

٥- موسىٰ ﷺ من وحي القرآن، لعقيل حسين عقيل، دار ابن كثير، ط١،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

تمهيد

الدعاء، وقصة موسىٰ المتلوة في القرآن الكريم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنىٰ الدعاء، وفضله، وثمرته.

المطلب الثاني: قصة موسىٰ المتلوة في القرآن الكريم، مراحلها، وسبب تكرارها.

المطلب الأول: معنى الدعاء، وفضله، وثمرته:

أولًا: معنىٰ الدعاء: لغةً: الدعاء مصدر من قولك: دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك، ودعا الرجلَ دعوًا ودعاءً: ناداه، ودعوت فلانًا: أي صِحت به واستدعيته[1].

واصطلاحًا: هو استدعاءُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ. وحقيقته: إظهار الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ، والتبرُّؤُ من الحول والقوّة. وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلَّة البشريَّة. وفيه معنىٰ الثناء علىٰ الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه[2]، قال الشوكاني[3]: "إذا كانت العبادة تعني غاية الخضوع والتذلل مع غاية الحب والتعلق؛ فإن الدعاء هو تعبير باللسان والقلب عن هذه الحقيقة أبلغ التعبير. فالمسلم حين يدعو الله يكون مستشعرًا حاجته، وفقره إليه سبحانه، علىٰ يقين بأنه يسمعه ويراه، ويسمع غيره من الداعين ويراه. لا يشغله سمع عن سمع، ولا بصر عن بصر، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تختلط عنده الأصوات، يسمع نطق اللسان، ويعلم ما يُكنُّه الجنان، وهو إذ يدعو ربه ويرجو أن يجيبه؛ لأنه موقن بقدرته الكاملة التامة علىٰ إجابته، وإجابة كل من يدعوه في الوقت نفسه"[4].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩)، ولسان العرب (١٤/ ٢٥٨).

(٢) ينظر: شأن الدعاء، للخطابي ص: (٤).

(٣) هو محمد بن علي الشوكاني، من كبار علماء اليمن، نشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة (١٢٢٩)هـ، ومات حاكما بها سنة (١٢٥٠)هـ، له: ١١٤ مؤلفا، منها: فتح القدير، نيل الأوطار، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٤) ينظر : الدرر المضيئة شرح الدرر البهية للشوكاني ص: (٥٨).

ثانيًا: فضل الدعاء: الدعاء له شأن عظيم، ومكانة عالية في الإسلام؛ فما استجلبت النعم، ولا دفعت النقم بمثله. فمن فضله:

١- أن الدعاء طاعة لله، وامتثال لأوامره، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩]، فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره سبحانه وتعالىٰ.

٢- سلامة صاحبه من الكبر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[غافر:٦٠]. قال الشوكاني[1] رحمه الله: "أفاد الله بأن الدعاء عبادة، وإن ترك دعاء الرب استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار".

٣- أنه أكرم شيء علىٰ الله، قال الرسول ﷺ: (**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**)[2].

٦- أنه سبب لدفع غضب الله، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[3].

ثالثًا: ثمرات الدعاء: للعبادات المشروعة ثمرات يجنيها المسلم في الدارين، ومن ذلك: الدعاء، قال رسول الله ﷺ: (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ؛ إِلا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَىٰ ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ**)[4].

---

(١) وقال السعدي في تفسيره (١/ ٧٢٠): "هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة؛ حيث دعاهم إلىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم. وأمرهم بدعائه: دعاء العبادة، ودعاء المسألة. ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء علىٰ استكبارهم".

(٢) رواه أحمد في: مسنده، عن أبي هريرة ﷺ(١٤/ ٣٦٠)، وصححه الألباني في: صحيح الأدب المفرد (١/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه الترمذي: في سننه في أبواب الدعوات (٥/ ٤٥٦)، وحسنه الألباني في: صحيح الأدب المفرد (١/ ٢٤٦).

(٤) رواه ابن ماجه في: سننه ، باب: لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت (٥/ ٢٣)، قال شعيب الأرنؤط: =

الحديث ذكر ثلاثًا من ثمرات الدعاء:

١- صرْفُ السوء عن الداعي، قال عليه الصلاة والسلام :(**لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ**)[1].

٢- ادِّخار الأجر للداعي في الآخرة.

٣- استجابة دعوة الداعي.

ثالثًا: ثمرات الدعاء: ومن ثمراته أنه: من أسباب الغنىٰ، قال ﷺ: (**مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ**)[2].

المطلب الثاني: قصة موسى المتلوة في القرآن الكريم: مراحلها، وسبب تكرارها.

أولًا: مراحل قصة موسىٰ المتلوة في القرآن الكريم[3]. ويمكن تلخيصها إلىٰ ثلاث مراحل: مرحلة الرضاعة والطفولة، ومرحلة بلوغ الأشد، ومرحلة النبوة.

المرحلة الأولىٰ: مرحلة الرضاعة والطفولة، وفيها:

١- اسمه ونسبه عليه الصلاة والسلام: موسىٰ بن عمران، قال عليه الصلاة والسلام:(**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**)[4]. وأخوه هارون النبي الذي كان له وزيرا، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الفرقان:٣٥]. وهما من أم واحدة، قال الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ [طه:٩٤]. وهو من ذرية يعقوب ابن إسحاق

=

قال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في مسنده، عن أبي سعيد ﷺ (١٧/ ٢١٣).

(١) رواه الترمذي في: سننه، في أبواب القدر، باب: لا يرد القدر إلا الدعاء (٤/ ١٦)، وصححه الألباني في: السلسلة الصحيحة = (١/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الزهد، باب: ما جاء في الهم في الدنيا وحبها (٤/ ٥٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير (١/ ١١١٧).

(٣) معلوم أن القصة لها تأثير بالغ في إيصال المعنىٰ، ولفت الانتباه، وجذب النفوس، قال الله تعالىٰ: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، قال أبو حامد الغزالي في أحياء علوم الدين (٤/ ٣٣٣): "وأكثر أسرار القرآن معبأة في طيِّ القصص والأخبار".

(٤) أخرجه مسلم في: كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (١٦٥)، (١/ ٣٦٩).

ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام[1]. ومجيئه كان بعد زمن يوسف ﷺ، قال الله تعالىٰ علىٰ لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]. وأخته تكبره سنًّا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص:١١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ [طه: ٤٠].

٢- ولادته ورضاعته: ولد في زمن غطرسة فرعون، قال الله تعالىٰ: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص ١-٤]. فكانت ولادته في العام الذي كان يقتل فيه فرعون الذكور، حيث إن القبط اشتكوا إلىٰ فرعون قلة بني إسرائيل؛ فأمر فرعون بقتل الأولاد عامًا وتركهم عامًا، فولد هارون في عام المسامحة، وموسىٰ في عام القتل[2]. ونجاه الله من القتل، وألقي في اليم لما أوحي لأمه أن تلقيه في اليم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٧-٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص :٩]، وهكذا رد الله تعالىٰ موسىٰ إلىٰ أمه؛ بأن اتخذها فرعون مرضعة له. وشاء الله تعالىٰ أن يتربىٰ موسىٰ في قصر فرعون في حفظ الله ورعايته.

٣- صفات موسىٰ عليه الصلاة والسلام: ورد في وصفه أنه: رجل نحيف طويل، قال الرسول ﷺ: (**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ مُوسَىٰ، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ،**

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٠)، والبداية والنهاية (١/ ٢٣٧).

كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ)[١]، وقال ﷺ: **(مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ مُوسَىٰ ابْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ)** [٢].

ضرب: أي: نحيف ضعيف اللحم. ورجل: أي شعره بين الجعودة والسبوطة.

الجعد: اكتناز الجسم، وقيل: جعودة الشعر ليست جعودة القطط، بل معناها: أنه بين القطط والسبط.

طوال: فبضم الطاء وتخفيف الواو، ومعناه: طويل. وشنوءة: بشين معجمة مفتوحة، ثم نون، ثم واو، ثم همزة، ثم هاء، وهي قبيلة معروفة في اليمن[٣].

المرحلة الثانية: بلوغ الأشد:

ورحلته إلىٰ مدين، وسيأتي الحديث عنها من خلال آيات البحث، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [القصص:١٤].

المرحلة الثالثة: مرحلة النبوة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف:١٤٤]، وسيأتي مزيد من هذه المرحلة خلال البحث.

ولم يرد عن موسىٰ ﷺ دعاء في المرحلة الأولىٰ، وإنما بدأ به في المرحلة الثانية عند بلوغ الأشد حسبما ورد في الآيات.

ثانيًا: سبب تكرارها:

ليس في قصص القرآن أعظم سردا من قصة موسىٰ ﷺ؛ ولعل السبب في كثرة

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٣٩٤)، (٤/ ١٥٣).

(٢) الحديث سبق تخريجه ص: (١١)، حاشية: (٣).

(٣) قال ابن قتيبة: سموا بذلك من قولك: رجل فيه شنوءة، أي: تقزز. قال: ويقال: سموا بذلك لأنهم تشانؤا وتباعدوا. وقال الجوهري: الشنوءة التقزز، وهو التباعد من الأدناس، ومنه: أزد شنوءة، وهم حي من اليمن، ينسب إليهم شنئي. ينظر: شرح مسلم للنووي: (٢/ ٢٢٧)، غريب الحديث: (١/ ٧٨،٢٨٥) لابن الأثير.

إيرادها: تسلية الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، فقد كان يتأسىٰ به. قال ابن القيم: "ولهذا يذكر الله سبحانه وتعالىٰ قصة موسىٰ عليه السلام ويعيدها، ويبديها، ويسلي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. ويقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عندما يناله من أذىٰ الناس: (**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَىٰ لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**)[1]؛ وذلك أن موسىٰ عليه الصلاة والسلام عالج بني إسرائيل أعظم المعالجة، وهذه المعالجة انقلبت نصحًا في حديث الإسراء والمعراج؛ فإنه قال لنبينا ﷺ: (**وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ**)[2]. كما أنه واجه أمتين، وعاش تاريخين: مع فرعون ومجاهدته، ومقارعته، والصمود أمامه؛ وكانت مواجهة ضخمة، ثم لما انتهت بغرق فرعون بدأ موسىٰ ﷺ حياة ثانية أيضًا، ومجهودًا آخر، ويبني أمة من البداية مع بني إسرائيل؛ لكي يواجه التواءاتهم، ومعاصيهم، وتمردهم، وهكذا مرة أخرىٰ إلىٰ أن قبضه الله. فكان له من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه ما ليس لغيره. وشريعته وكتابه التوراة مرجع أنبياء بني إسرائيل، وعلمائهم. وأتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم. ومات وبقي عبدًا صالحًا حتىٰ وهو في قبره، يقول ﷺ: (**مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**)[3]. فأي مقام كريم لهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وعلىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم؟

*　　*　　*

---

(١) أخرجه البخاري في: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث موسىٰ والخضر (٣٤٠٥) (٦/ ٤٣٦). جلاء الأفهام (١/ ١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الاسراء (٣٤٩) (١/ ٤٥٨) ،فيه اشارة إلىٰ الاستفادة من خبرة وتجربة المتقدمين.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: من فضائل موسىٰ (٢٣٧٥) (١٥/ ٥١٦).

المبحث الأول
دعاء موسى ﷺ فترة بلوغ الأشد

المطلب الأول: الدعاء المتضمن للاعتراف بالذنب، والاعتراف بالمنعم:

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص:١٦- ١٧].

المعنىٰ الإجمالي: يقول تعالىٰ ذكره مخبرا عن ندم موسىٰ؛ علىٰ ما كان من قتله النفس التي قتلها، وتوبته إليه منه، ومسألته غفرانه من ذلك: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها، فاعف عن ذنبي ذلك، واستره عليّ، ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه[1][2].

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٩).

(٢) ولفهم المعنىٰ المراد لابد من فهم الآيات السابقة؛ حتىٰ يُعلم ما هو الذنب الذي ارتكبه موسىٰ عليه الصلاة والسلام، والذي اعترف لله بأنه ظلم للنفس؛ فطلب المغفرة منه؟. قال الله تعالىٰ : ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص:١٤-١٧].

وكان موسىٰ ﷺ في هذا الوقت قد بدت منه مجاهرة لفرعون وقومه بما يكرهون. فكان مختفيا بنفسه، متخوفا منهم؛ فدخل متنكرا، حذرا، مغفلا للناس.

قال ابن زيد: "بل كان فرعون قد نابذه، وأخرجه من المدينة، وغاب عنها سنين؛ فنسي أمره، وجاء هو والناس علىٰ غفلة بنسيانهم لأمره، وبعد عهدهم به. وقيل: كان يوم عيد. وقوله تعالىٰ: ﴿يَقْتَتِلانِ﴾ في موضع الحال، أي مقتتلين، و﴿شِيعَتِهِ﴾ بنو إسرائيل، و﴿عَدُوِّهِ﴾ القبط، وقيل: أن الذي من شيعته هو السامري، وأن الآخر طباخ فرعون. وقوله: ﴿هذا ... وَهذا﴾ حكاية حال قد كانت حاضرة؛ ولذلك عبر بهذا عن غائب ماض. والوكز: الضرب باليد مجموعا كعقد ثلاثة وسبعين، وقرأ ابن مسعود: "فلكزه"، والمعنىٰ واحد؛ إلا أن اللكز في اللحا، والوكز علىٰ القلب. والمراد: بينما موسىٰ يتجول في =

وهـذا النـدم مـن موسـىٰ عليـه الصـلاة والسـلام حملـه علـىٰ الخضـوع لربـه، والاستغفار عن ذنب باء به عنده تعالىٰ؛ فغفر الله له ذلك. قال قتادة[1]: "عرف والله المخرج؛ فاستغفر ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ أعيد القول للتنبيه علىٰ اتصال كلام موسىٰ؛ حيث وقع الفصل بينه بجملتي: فغفر له، إنه هو الغفور الرحيم. ونظم الكلام: قال رب إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، رب بما أنعمت فلن أكون ظهيرا للمجرمين. وليس قوله: قال رب بما أنعمت علي مستأنفا عن قوله: فغفر له؛ لأن موسىٰ لم يعلم أن الله غفر له، إذ لم يكن يوحىٰ إليه يومئذ"[2].

هدايات الآية:

١- اشتملت الآية الكريمة علىٰ مقام انكسار العبودية المعترفة بالذنب أمام الله

=

المدينة؛ إذا هو برجلين يتضاربان، أحدهما: من قومه - بني إسرائيل -، والآخر: من عدوه - قبطي من آل فرعون -، وقد اعتدىٰ القبطي علىٰ الإسرائيلي. فلما مرَّ موسىٰ استغاثه الإسرائيلي؛ ليخلصه من شر القبطي. فأقبل نحوه موسىٰ يريد أن يمنعه من الاعتداء، فوكزه؛ فقضىٰ عليه، وخرَّ القبطي ميتًا. ولم ير مشهد القتل إلا الله عز وجل، ثم الإسرائيلي. ولم يقصد موسىٰ عليه السلام قتل القبطي، وإنما قصد دفعه؛ فأتىٰ ذلك عليه، ولهذا قال: ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾. فالغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان، ومن همزه، ونص هو عليه السلام علىٰ ذلك، وبهذا الوجه جعله من عمله. وكان فضل قوة موسىٰ ربما أفرط في وقت غضبه بأكثر مما يقص، وإنما قال بهذا القول مع أن المقتول كافر؛ لأنه لم يكن مأمورًا بقتل الكفار. ولذلك في حديث الشفاعة الطويل؛ عندما يأتونه يعتذر لهم بقوله: (أنا قتلت نفسًا بغير نفس، وإن يُغْفَرْ لي اليوم حَسْبي". تحفة الأحوذي شرح الترمذي (٨/ ٥٦٢).

وأشار إلىٰ القتيل المذكور في قوله: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾، وهو المراد بالذنب في قوله تعالىٰ: ﴿**فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾، وهو مراد فرعون بقوله لموسىٰ فيما ذكره الله عنه: ﴿**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ**﴾. وقد أشار تعالىٰ في سورة القصص أيضا إلىٰ غم موسىٰ، وإلىٰ السبب الذي أنجاه الله به منه في قوله: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾. ينظر: المراجع السابقة.

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥٨٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ٩٢).

جل جلاله، وقبول التوبة من العبد تفضلا من الله تعالىٰ.

٢- وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل، وأول التوبة الاعتراف بالذنب.

٣- إنعام الله تعالىٰ علىٰ موسىٰ ﷺ بستر قتله للقبطي في أول الحادثة.

٤- فهم موسىٰ ﷺ وإدراكه لاحتمال أن يكون الإسرائيلي هو المذنب، وأنه قد نصره دون حق بدافع ولائه لقومه، وبما ظهر له من الأمارات ما رجح لديه هذا الظن، فعاهد ربه أن لا يكون مناصرًا لأي مذنب ولو كان من قومه.

٥- بيان وإعلام الله تعالىٰ لِعباده بكرامة موسىٰ ﷺ عند ربه؛ حيث أن جملة: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ معترضة: بين جملة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ وجملة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾، وكان اعتراضها إظهار تكريم هذا النبي الكريم عليه وعلىٰ رسولنا الصلاة والسلام.

٦- من صور شكر المنعم علىٰ النعم: استعمالها في الانتصار للحق وتغير الباطل، واستخدام المواهب الكسبية، والفطرية، والقدرات، والمعطيات في الخير؛ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ أي: معينًا ومساعدًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا أعين أحدًا علىٰ معصية؛ فالنعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.

٧- وجوب النصح وبذل النصيحة؛ فمؤمن آل فرعون يعلم سلامة موسىٰ من العيب ومن الجريمة.

٨- المؤمن يتبرأ من الأمر العظيم، فقد تبرأ موسىٰ ﷺ من عظيم؛ لأن ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده.

٩- دلَّت مناجاة موسىٰ هنا علىٰ أنه باقي علىٰ ملة آبائه: يوسف، ويعقوب، وإسحاق، وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

١٠- إن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف؛ لا يجوز، فإن موسىٰ ندم علىٰ قتله القبطي واستغفر الله منه وتاب إليه[١].

---

(١) قصص الأنبياء في القرآن وما فيها من العبر، لعبد الرحمن السعدي ص: (٦١).

=

١١- أن الذي يقتل النفوس بغير حق يُعدُّ من الجبارين المفسدين في الأرض، ولو زعم أنه مصلح.

١٢- بيَّنت الآيات آثار عناية الله بموسىٰ، ورعايته له: أن قَوَىٰ فيه الوعي الديني، واستحكمت الصلة بينه وبين ربه؛ فأحبّ ما يحبّه الله من العدل والإنصاف، وكره ما يبغضه الله من الظلم والعدوان؛ لذلك فزع إلىٰ ربه، واعترف بظلمه لنفسه؛ حينما قضىٰ القبطي نحبه من وكزته، وأسرع إلىٰ الاستغفار لله تعالىٰ من ذنبه[1].

١٤- بيان أهمية الاستغفار. وقد كثر ورود الاستغفار في القرآن الكريم بأساليب ومناسبات مختلفة؛ فقد ورد فيها استغفار الأنبياء عليهم السلام، ومنهم استغفار موسىٰ ﷺ هنا.

١٥- علمنا ربنا تعالىٰ كيفية التوبة النصوحة بفعل موسىٰ عليه الصلاة لثلاثة أمور: الندم والاسترجاع: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾، والاستغفار: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾ ، ثم أكد توبته إلىٰ ربه، وشكره إياه علىٰ نعمه فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾.

آداب الدعاء:

١- التوسل بـ:

=

واستدل بعض العلماء بهذه الآية علىٰ أن: الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر قبل النبوة؛ لأن موسىٰ اعترف بظلمه لنفسه، والظلم لا يتأتىٰ إلا من فعل معصية حقيقية. وطلب من الله أن يغفر له، والاستغفار عند الإطلاق لا يكون إلا من فعل معصية حقيقية. وأخبر الله بأنه غفر له، والغفران عند الإطلاق لا يكون إلا عن ذنب حقيقي. الرسل والرسالات، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (١/ ١٠٨).

وقال ابن تيمية: "القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف؛ حتىٰ إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلّا ما يوافق هذا القول...".

(١) مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي (١/ ٨٢).

أ- الربوبية (رب) [١]: إنّ الناظر في خطاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ يلحظ استعمالهم لفظة: (ربّ)، ترىٰ فما السبب في عدم استبدالهم هذه اللفظة بأحد الأسماء الحسنىٰ؟! كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف :١٨٠]، ونحو قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء :١١٠].

ولفظ (ربّ) في الأصل: من ربَّ يربُّ، والرَّبُّ في اللغة: يطلق علىٰ المالكِ، والسَّيِّد، والمدبِّر، والمربِّي، والقَيِّم، والمنْعم. فالمعنىٰ يدل علىٰ الإحاطة، والخلق، والإيجاد، والتربية [٢]؛ وفي ذلك إلماح إلىٰ أنّهم عليهم الصلاة والسلام علموا أنّ كلمة (ربّ) تثبت ذلك لله سبحانه؛ في حين أنّ لفظًا من ألفاظ الجلال لا تثبت ذلك [٣].

ب- التوسل بالعمل الصالح؛ ومنه: الاعتراف بالذنب. فاعتراف موسىٰ عليه الصلاة والسلام بأنه ظلم نفسه بالقتل؛ عمل صالح. أراد أن يتوسل به موسىٰ إلىٰ ربه؛ ليغفر له ذنبه [٤]، فغفر له. ومنه يفهم: أن الاعتراف بالذنب عمل صالح؛ يصلح لأن يكون وسيلة إليه تعالىٰ، وقربىٰ منه.

ج- التوسل بتفويض الأمر إلىٰ الله تعالىٰ: ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾.

د- التوسل بإنعام الله تعالىٰ علىٰ العبد بكافة النعم.

٢- الندم وتقديم الاعتراف بالذنب علىٰ طلب المغفرة والرحمة.

---

(١) الدعاء بكلمة (ربّ): من المعلوم أن كلمة ربّ محذوفة ياء المتكلم، ويجوز أن نقول: ربي. ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأحمد عمر أبو شوفة (١/ ٣١٤).
وقد وردت كلمة (ربّ) بالقرآن الكريم: (٦٧) مرة، منها: (٦٥) مرة لم تسبق بياء النداء، وسبقت مرتين بياء النداء؛ علىٰ سبيل الشكوىٰ لا علىٰ سبيل الدعاء. والمرتان هما: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾[الفرقان: ٣٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلِهِ يا رَبِّ إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾[الزخرف: ٨٨]. وما عدا ذلك فقد وردت صيغة الدعاء. ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

(٢) ينظر : شرح الرسالة التدمرية، لمحمد الخميس (١/ ٣٨٦).

(٣) ينظر : أدب الأنبياء في الخطاب مع الله ، لابنُ الربيعِ الحلبيّ، ص: (٦-٩، ١٩، ٢٠٠٨).

(٤) التوصل إلىٰ حقيقة التوسل المشروع والممنوع، لمحمد الرفاعي (١/ ٩٤).

٣- سرعة التوجه والالتجاء والمبادرة للإنابة والتوبة إلىٰ الله تعالىٰ، وطلب الستر من الله تعالىٰ؛ لأن غفر الذنب: ستره، وهذا يستلزم مع فضل الله التجاوز عنه، وعدم المؤاخذة عليه. وفعل موسىٰ ﷺ هنا فيه: تعليم كيف تتوب إلىٰ الله ﷻ إذا وقعت في الذنب، تقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾، فتعترف بالذنب، وترجع إلىٰ الله سبحانه، وتطلب منه المغفرة. فالإنسان حين يقع في معصية يأتسي بهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويتجنب القنوط واليأس.

٣- عَلَّمَ الله عز وجل عباده المؤمنين الثناء عليه؛ بأنه هو وحده في الوجود كله الغفور الرحيم.

٤- مد البصر للمستقبل. فقد اشتمل الدعاء علىٰ وعد من موسىٰ ﷺ بفعل الخير؛ بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي.

المطلب الثاني: الدعاء المتضمن الفرار إلى الله تعالى من بطش الظالمين:

قال الله تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢١].

المعنىٰ الإجمالي: تبين فيما سبق أن موسىٰ ﷺ قد قتل قبطيًا بطريق الخطأ، وأنه اعترف لربه تعالىٰ بخطئه. واستغفر ربه؛ وأن الله تعالىٰ غفر له. وهنا يخبرنا تعالىٰ: أن موسىٰ أصبح في المدينة ﴿خَائِفًا﴾ مما قد يترتب علىٰ قتله للقبطي، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الأحداث ماذا تسفر عنه؟. وإذ الرجل الذي طلب منه النصرة بالأمس يستصرخه علىٰ قبطي آخر، فعنفه موسىٰ علىٰ كثرة شره ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فقال الإسرائيلي: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾؛ وحينما سمع القبطي ذلك أفشاه، فانتشر الأمر، فعرف فرعون، وجاء الناصح بعد ذلك إنقاذا لموسىٰ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾. فخروج موسىٰ ﷺ من مصر ممتثلًا نصح ذلك المؤمن خائفا؛ لم يتلبث، ولم يتزود، ولم

يتخذ دليلا، يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذىٰ في الطريق، يتلفت خشية أن يُدْرَك، فيتوجه متضرعًا إلىٰ ربه؛ أن يحفظه وينجيه من اعتداء المعتدين من فرعون وقومه؛ حيث قال: نجني، أي: خلصني منهم، وادفعهم عني، وحل بيني وبينهم، واحفظني من لحوقهم؛ فاستجاب الله تعالىٰ دعاءه، ونجاه منهم، ويسر له الوصول إلىٰ جهة مدين. فعاش فيها عشر سنين؛ أجيرا عند شيخ كبير من أهلها. وتزوج موسىٰ ﷺ بعد انقضاء تلك المدة؛ بإحدىٰ ابنتي هذا الشيخ الكبير.

هدايات الآية:

١- الالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ في ساعة الخوف، وطلب النجاة منه سبحانه؛ فهو شأن الأنبياء، والرسول عليهم الصلاة والسلام كان إذا خاف قوما قال :(**اللَّهُمَّ إنا نَجعلُكَ في نُحورِهم، ونعوذُ بِكَ مِنْ شُرورِهِمْ**)[1].

٢- الأخذ بالمشورة، والنصح السديد.

٣-التعبير بقوله: ﴿خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ يشعر بشدة القلق النفسي والخوف؛ الذي أصاب موسىٰ عليه الصلاة والسلام في أعقاب هذا الحادث. ولم ينسه ذلك ذكر الله، واللجوء إليه، فقد أظهرت الآية الكريمة عظم إيمان موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وحسن ظنه بالله تعالىٰ؛ فكان في هذا الموقف بين جناحي الخوف والرجاء، لكنه خوف من الخلق، ورجاء في لطف الله تعالىٰ.

٤- الخوف عارض بشري فطري؛ لا يعوق عن إكمال الطريق، وتدبير الأمور، واتخاذ الأسباب، وأخذ الحيطة أثناء الفرار من الظلمة. وصاحب الفطرة السليمة مرتبط بربه، وإذا خاف يخاف الخوف الطبيعي من الشر المتحقق، لا وهَم الجبناء المنافقين؛ الذين يحسبون كل صيحة عليهم، ويركنون إلىٰ الأسباب المادية، والحماية الأرضية فحسب!.

٥- يعد الخروج في الأغلب نوعا من الإعداد والتجربة، والتربية علىٰ ما فيه من

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب: الاستخارة (١٥٣٧)، (٢/ ٦٤٠). وصححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود (٥/ ٢٦٣).

إرادة الله تعالىٰ من الخير والنعمة للعبد.

آداب الدعاء:

١- التوسل بالربوبية (رب).

٢- فعل الأسباب مع الاستغاثة بالله من موجبات الدعاء؛ كما فعل موسىٰ عليه الصلاة والسلام ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٣- الفزع وسرعة الفرار إلىٰ الله عز وجل، والركون إليه بالدعاء، والتضرع في حال الشدة. فالله سبحانه وتعالىٰ كريم، وهو القائل سبحانه: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر:٦١].

المطلب الثالث: دعاء الله تعالى في السفر والحضر:

وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القصص:٢٢].

المعنىٰ الإجمالي: لما خرج موسىٰ ﷺ فارًّا بنفسه منفردا خائفا، وصرف وجهه ناحية مدين، ورأىٰ حاله من خلوه من زاد وغيره، وعدم معرفته بالطريق؛ عظمت ثقته بربه تعالىٰ، فتوكل عليه، وقصده وحده في غربته، وحيرته. ففوض أمره إلىٰ الله تعالىٰ؛ رجاء أن يهديه سواء السبيل. يهديه الطريق الأقوم السوي، طريق الخير والنجاة. فاض قلبه إيمانا بالله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "خرج وليس له علم بالطريق إلاَّ حسن ظنه بربه". وحقق الله له ما طلبه، وهداه إلىٰ الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة؛ فجعله هاديا مهديا. وأصل هدىٰ: أرشد[1].

هدايات الآية:

١- التوجه إلىٰ الله تعالىٰ بالدعاء في السفر، والحضر.

٢- التطلع إلىٰ هدىٰ الله تعالىٰ عند فقد الدليل، والرفيق، والزاد.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٨٨).

٣- شأن النفوس المؤمنة أن تتوجه إلىٰ ربها في أحلك الظروف، كما تتوجه إليه في سرائها.

٤- العبد الصالح لا ينسىٰ ولا يغفل عن خالقه لحظة من اللحظات، وخاصة عند عبوره إلىٰ أرض غير أرض القوم التي خرج منها خائفًا يترقب؛ ليضمن ما سيحدث له في الأرض الجديدة.

٥- أما الغافل الضال يغترب الواحد في أرض لا يعرف عنها شيئًا، ومع ذلك يركن إلىٰ نفسه وأنه سيشق طريقه علىٰ علم منه؛ وهذا هو الضلال المبين.

٦- كمال عبودية موسىٰ ﷺ، وتعلقه الوثيق بالله تعالىٰ، حيث خرج متوجهًا تلقاء مدين وهو يقول: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

آداب الدعاء:

١- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بالربوبية.

٢- التوسل والطلب بحرف الترجي: ﴿عَسَىٰ﴾ الموجبة؛ التي تستخدم في أمر محبوب قريب الوقوع. بينما الطلب بحرف التمني: (ليت) يستخدم في حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيد؛ كما في قوله سبحانه: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣][1].

٣- تقديم المنادىٰ ﴿رَبِّىٓ﴾ علىٰ الطلب ﴿يَهْدِيَنِى﴾؛ لأن مقام موسىٰ ﷺ هنا يستدعي إلقاء النفس كلها أمام ربه وخالقه، ولما كان الخائف الضعيف يطلب أولًا من يحميه ويلتجئ إليه؛ قدم (الرب) علىٰ فعل الهداية لأنه هو الملجأ[2].

(١) من بلاغة القرآن، لأحمد البدوي (١/ ١٣٠).

(٢) وخلافه ما ورد في [سورة الكهف :٢٤] ﴿وَقُلْ عسىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً﴾؛ فإن المقام فيها مقام ذكر القول الحق فيما اختلفت فيه الأقوال، وبيان الأمر الصحيح فيما تباينت فيه الآراء. وهذا أمر يحتاج إلىٰ الهداية والرشد، فقدم الهداية وهذا من دقيق الاستعمال. ينظر :أسرار البيان في التعبير القرآني، لفاضل السامرائي، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

المطلب الرابع: الدعاء بإظهار الافتقار لله تعالى.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

المعنىٰ الإجمالي: لفهم الآية لابد من عرض سابقتها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

هذا بيان لما فعله موسىٰ ﷺ وقاله؛ بعد أن سقىٰ للمرأتين غنمهما في مدين. أعرض عنهما متجها إلىٰ الظل الذي كان قريبا منه في ذلك المكان، قيل: كان ظل شجرة، وقيل: ظل جدار. فقال علىٰ سبيل التضرع إلىٰ ربه: يا ربي، إني فقير، ومحتاج إلىٰ أي خير ينزل منك علي؛ سواء أكان هذا الخير طعاما أم غيره. ولم يكَدْ موسىٰ ﷺ ينتهي من مناجاته لربه حتىٰ جاءه الفرج. والخير: كلمة جامعة لما يلائم الإنسان، وينتفع به ماديًا كان أو معنويًا. فحري بمن يفتقر الىٰ أي شيء من نعم الله وخيراته أن يدعو به؛ علَّ الله يغنيه بنعمه، وخيراته ويدعىٰ بهذا الدعاء.

هدايات الآية:

١- الاعتراف بالمنعم ونسبة النعم إليه، وشكره علىٰ ذلك.

٢- ترتيب الطلب، وذلك بالبدء بتقديم وصف المسئول قبل السؤال.

٣- تضمين السؤال لمعنىٰ الاحتياج، فعدىٰ باللام في (لما)؛ لتضمنه معنىٰ الاحتياج[1].

---

(١) و(ما): نكرة موصوفة، والجملة بعدها صفتها، والرابط محذوف، ومِنْ (خَيْرٍ): بيان لها، والتنوين فيه للشيوع، والكلام تعريض لما يطعمه؛ بسبب ما ناله من شدة الجوع. ينظر: روح المعاني (٥/ ٢٧٢).
وإذا كان موسىٰ عليه السلام قد سأل الله الخير بصيغة الحال، فإنه قد ثبت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه سأل الله عز وجل الخير بصيغة الطلب؛ كما في الحديث العظيم الذي قال فيه النبي صلىٰ الله عليه وسلم لأُمِّنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حين أمرها أن تدعوا الله بجوامع الكلم: (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ =

٤- أفضل خير يقدم للغريب مأوىً يأوي إليه، وفيه ما يحتاج إليه من طعام وزوجة يأنس بها.

٥- كل من يفتقر إلىٰ شيء من نعم الله وخيراته فعليه بهذا الدعاء؛ لعل الله يغنيه بنعمه.

٦- التمكين لا يكون إلا بعد الابتلاء والتمحيص.

آداب الدعاء:

١- التوسل إلىٰ الله بـ:

أ- الربوبية، فكليم الله تعالىٰ اختار صفة الربوبية في ندائه، ولم يقُلْ: يا الله؛ لأن الألوهية تقتضي معبودًا، له أوامر ونواهٍ، أمّا الرب فهو المتولِّي للتربية، والتدبير.

ب- الفقر والحاجة، وبيان الحال.

ج- الرعاية، فقال: يا ربِّ، أنا عبدك، وقد جئتَ بي إلىٰ هذا الكون، وأنا محتاج إلىٰ خيرك، فالخير منك يا رب، وإنْ سُقْته إليَّ علىٰ يد عبد من عبيدك. وفقري لا يكون إلا إليك، وسؤالي لا يكون إلا لك.

٢- الدعاء بجوامع الكلم، فجملة: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ جامعة للشكر والثناء والدعاء.

٣- بدء الدعاء بالثناء، والشكر علىٰ الله ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، ثناء علىٰ الله بأنه معطي الخير. ثم الشروع بالطلب؛ لأنه أقرب إلىٰ الإجابة من الدعاء المجرد. فإن انضاف إلىٰ ذلك إخبار العبد بحاله، ومسكنته، وافتقاره، واعترافه؛ كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله، وإحسانه، وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته، وضرورته، وفقره، ومسكنته فهذا المقتضىٰ منه. وأوصاف المسئول مقتضىٰ من الله، فاجتمع المقتضي من السائل والمقتضىٰ من المسئول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا، وأتم معرفة وعبودية[1].

=

مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ)، مسند أحمد (٤/ ٤٧٤).

(١) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (١/ ٩٠).

٤- التضرع إلىٰ الله تعالىٰ بطلب جميع الحوائج، فهو فقير له وإليه، فقال علىٰ سبيل التضرع: إني فقير، ومحتاج إلىٰ أي خير ينزل منك قلَّ، أو كثرَ[1].

٥- التعريض بالدعاء من غير تصريح بالسؤال؛ وهو دأب الأنبياء في حالة توجههم إلىٰ الله تعالىٰ، وتأدبهم مع ربهم، خاصة في طلب حاجاتهم[2].

❊　　❊　　❊

(١) لسان العرب (٨/ ٢٢٢).

(٢) فالاكتفاء في السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه دون الطلب المباشر، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء، قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٣٦): "وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه؛ كما قال موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسئول؛ كقول ذي النون ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظالمين﴾. قال أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني؟ ❊❊ حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنىٰ عليك المرء يومًا ❊❊ كفاه من تعرضه الثناء

فهذا مخلوق يخاطب مخلوقًا، فكيف بالخالق تعالىٰ!". والبيت في: تهذيب اللغة (١٢/ ٣٣٠)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٠٥).

المبحث الثاني
دعاء موسى ﷺ حين أُمر بالنبوة والرسالة

المطلب الأول: طلب الأنصار والأعوان على الحق، والاستعانة بالله تعالى في إنجاح مهمة الدعوة:

قال الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[القصص: ٣٣-٣٥]. وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾[طه: ٢٥–٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٦].

المعنىٰ الإجمالي: عندما قضىٰ موسىٰ ﷺ الأجل، وخرج من مدين بصحبة أهله؛ تلقىٰ الرسالة والنبوة، حيث أمره الله تعالىٰ بالذهاب إلىٰ فرعون؛ الذي إنما خرج من ديار مصر فرارًا منه، وخوفًا من سطوته. توجه إلىٰ ربه ليسأله أن يكون هارون ﷺ له عونًا في هذا الأمر الكبير. وقد ذكر مبررات ذلك، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ﴾ يريد: نفس القبطي الذي قتله خطأً بمصر؛ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ يقتلوني به إن لم أبين لهم، وأُفهمهم حجتي. ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ أبْين مني قولًا، وأكثر إفهاما لفرعون، وملئه. ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾ عونًا؛ ﴿يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ يلخص قولي، ويحرره لهم، فيكون ذلك تصديقا منه لي. وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ فيما جئتهم به. وكان خوف موسىٰ من فرعون الذي يسلط عليه سيف التهديد بالقتل؛ قصاصًا للقتيل الذي قتله، يجعله غير قادر علىٰ الانطلاق في الكلام؛ ولذا قال: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾، فضيق الصدر من الخوف والرهبة، هو

الذي يحبس اللسان عن الانطلاق في الحديث؛ ولهذا جاء قول الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ ﷺ : ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ اضمم إليك جناحك؛ تسكينا لك من الرهب، أي الخوف الذي يجيء من الرهبة. ثم قال: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾؛ لأن هارون ﷺ لم يكن له ذنب يطالبه به فرعون؛ لذا فهو في هذا الموقف أقدر علىٰ الكلام من موسىٰ. ولهذا قدم قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ علىٰ قوله: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾. وقد أجاب الله تعالىٰ لموسىٰ رجاءه فقال: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾. وشد العضد: كناية عن التقوية له؛ لأن اليد تشتد وتقوىٰ بشدة العضد وقوته، وهو من المرفق إلىٰ الكتف. ويقال في دعاء الخير: شد الله عضدك، وفي ضده: فت الله في عضدك. فالمعنىٰ: سنقويك، ونعينك بأخيك، ونجعل لكما بقدرتنا، ومشيئتنا سلطانًا، أي: حجة، وبرهانا، وقوة تمنع الظالمين؛ فلا يصلون إليكما بأذىً، ولا يتغلبان عليكما بحجة[1]. وامتن الله تعالىٰ علىٰ موسىٰ بإرسال أخيه معه، قال تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم:٥١]، ولهذا قال بعض السلف[2]: "ليس أحدٌ أعظم منَّة علىٰ أخيه من موسىٰ علىٰ هارون عليهما الصلاة والسلام، فإنه شُفع فيه حتىٰ جعله الله نبيًا ورسولًا معه إلىٰ فرعون وملئه؛ ولهذا قال تعالىٰ في حق موسىٰ: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]. وقوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ أي: أزل عن فكري الخوف ونحوه؛ مما يعترض الإنسان من عقبات تحول بينه وبين الانتفاع بإقدامه، وعزامته، وذلك من العسر. فسأل تيسير أمره، أي: إزالة الموانع الحافة بما كلف به. والتيسير: جعل الشيء يسيرا، أي: ذا يسر. والأمر هنا: الشأن، وإضافة (أمر) إلىٰ ضمير المتكلم؛ لإفادة مزيد اختصاصه به، وهو أمر الرسالة، كما في قوله: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾. ثم سأل سلامة آلة التبليغ وهو اللسان؛ بأن يرزقه فصاحة التعبير، والمقدرة علىٰ أداء مراده

---

(١) التفسير الوسيط (١٠/ ٤٠٠).

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير (٦/ ٢١٢).

بأوضح عبارة. والعقدة: موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر منه. وزيادة ﴿لِي﴾ بعد ﴿اشْرَحْ﴾ و ﴿يَسِّرْ﴾: إطناب؛ لأن الكلام مفيد بدونه، ولكن سلك الإطناب؛ لما تفيده اللام من معنىٰ العلة. أي: اشرح صدري لأجلي، ويسر أمري لأجلي، وهي اللام الملقبة (لام بعد التبيين) التي تفيد تقوية البيان. فإن قوله: ﴿صَدْرِي﴾ و ﴿أَمْرِي﴾ واضح أن الشرح والتيسير متعلقان به؛ فكان قوله: ﴿لِي﴾ فيهما زيادة بيان، كقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح:١]. وهو هنا: ضرب من الإلحاح في الدعاء لنفسه. وأما تقديم هذا المجرور علىٰ متعلقه: فليحصل الإجمال، ثم التفصيل؛ فيفيد مفاد التأكيد من أجل تكرر الإسناد. ولم يأت بذلك مع قوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾؛ لأن ذلك سؤال يرجع إلىٰ تبليغ رسالة الله إلىٰ فرعون، فليست فائدتها راجعة إليه؛ حتىٰ يأتي لها بلام التبيين.

وتنكير ﴿عُقْدَةً﴾ للتعظيم، أي: عقدة شديدة. و ﴿مِنْ لِسانِي﴾ صفة لعقدة. وعدل عن أن يقول: عقدة لساني بالإضافة؛ ليتأتىٰ التنكير المشعر بأنها عقدة شديدة. وفعل ﴿يَفْقَهُوا﴾: مجزوم في جواب الأمر، علىٰ الطريقة المتبعة في القرآن؛ من جعل الشيء المطلوب بمنزلة الحاصل عقب الشرط، كقوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠][1].

وقوله: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ أي: اجعل لي معينًا من أهلي، وخص هارون؛ لفرط ثقته به، ولأنه كان فصيح اللسان، مقوالًا. فكونه من أهله؛ مظنة النصح له، وكونه أخاه؛ أقوىٰ في المناصحة، وكونه الأخ الخاص؛ لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي. وعلل موسىٰ ﷺ سؤاله تحصيل ما سأله لنفسه ولأخيه؛ بأن يسبحا الله كثيرا، ويذكرا الله كثيرا. وجملة: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ تعليل لسؤاله شرح صدره وما بعده. أي: لأنك تعلم حالي وحال أخي، وإني ما دعوتك بما دعوت إلا لأننا محتاجان لذلك. وفيه تفويض إلىٰ الله تعالىٰ؛ بأنه أعلم بما فيه صلاحهم، وأنه ما سأل سؤاله

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٢١٢).

إلا بحسب ما بلغ إليه علمه [1].

هدايات الآية:

١- مشروعية طلب العون عند التكليف بما يشق ويصعب من المسئولين المكلفين. فموسىٰ ﷺ رغب في أن يكون أداؤه للرسالة كاملًا، وحرص علىٰ النجاح في دعوته؛ لذا طلب المعين له من بني جنسه.

٢- خُص موسىٰ دون بقية الأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام؛ بأن جعل الله تعالىٰ له أخاه هارون رسولًا معينًا له في حمل مهمة الرسالة والنبوة.

٣- ترشيح من يلخص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويصدقه بالبرهان؛ ليجادل به الخصم.

٤- التسبيح والذكر من موجبات شكر الله علىٰ نعمه علينا.

٥- رحمة الله وسعت كل شيء، فقد رحم الله سبحانه موسىٰ ﷺ؛ فوهب له أخاه هارون نبيًا.

٦- الاعتراف بمزايا الآخرين، لاسيما الأقرباء، والأقران من أخلاق الكبار، ومن صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٧- الأصل في الأخوة مشاركة الأخ أخاه في الخير، وإدخال السرور عليه ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾.

٨- من أعظم ما ينتصر به الإنسان في حياته الدعاء ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾.

آداب الدعاء:

١- التوسل بـ:

أ- الربوبية (رب).

ب- ببيان الحال، وعرض الحاجة.

ج- بأسماء الله وصفاته ﴿**بَصِيرًا**﴾.

---

(١) التحرير(١٦/ ٢١٠).

٢- طلب الأسباب المعينة علىٰ التقرب من الله تعالىٰ وعبادته.

٣- إظهار المعرفة بالله تعالىٰ، وإظهار الافتقار إليه ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ تعرف حالنا، وتطلع علىٰ ضعفنا، وقصورنا، وتعلم حاجتنا إلىٰ العون، والتدبير.

٤- إطالة السؤال، والبسط في الطلب، فقد أطال موسىٰ ﷺ سؤله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير.

٥- أن يكون الدعاء مقرونًا بحسن نية ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾.

المطلب الثاني: الالتجاء إلى الله ﷻ بالدعاء حال الخوف للأمن من مكر الماكرين:

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه :٤٥ – ٤٦].

المعنىٰ الإجمالي : هذا الدعاء قيل عندما أمر الله عز وجل موسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام أن يذهبا إلىٰ فرعون؛ قال: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ فقالا مستجيرين بالله تعالىٰ شاكين إليه: إننا نخاف أن ﴿يَفْرُطَ﴾ [(١)] يعاجلنا بالعقوبة قبل أن ننتهي من الحديث معه في الأمر. ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أي: يزداد طغيانه، فيقول في حقك يا ربنا ما لا نريد أن نسمعه، ويقول في حقنا ما نحن براء منه، ويفعل معنا ما يؤذينا. وقد جمع سبحانه بين القولين اللذين حكاهما عنهما؛ لأن الطغيان أشمل من الإفراط، إذ الجملة الأولىٰ تدل علىٰ الإسراع بالأذىٰ لأول وهلة، أما الثانية فتشمل الإسراع بالأذىٰ، وتشمل غيره من ألوان الاعتداء؛ سواء أكان في الحال أم في الاستقبال[(٢)]. وهنا يجيبهما الخالقﷻ بما

---

(١) يقال: فرط فلان علىٰ فلان يفرط إذا عاجله بالعقوبة، وأذاه بدون تمهل. ومنه قولهم: فرس فارط، أي: سابق لغيره من الخيل. وفرط: سبق وتقدم. ومنه: الفارط الذي يتقدم الواردة. وَفِي الْحَدِيثِ: (**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ**). أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب الرقائق، باب: الحوض (٨/ ١١٩)، (٦٥٧٥): أَيْ مُتَقَدِّمُكُمْ، وَسَابِقُكُمْ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنَا ** كَمَا تَقَدَّمَ فَارِطُ الْوُرَّادِ

ينظر : التحرير والتنوير (١٦/ ٢١١).

(٢) ينظر : التفسير الوسيط (٩/ ١٠٩).

يثبت فؤداهما، ويزيل خوفهما، فقال سبحانه لهما: ﴿لَا تَخَافَآ﴾ من فرعون وملئه؛ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾. جملة استئنافية لبيان مقتضى هذه المعية الخاصة، وهو السمع والرؤية، وهذا سمع ورؤية خاصان تقتضيان النصر والتأييد، والحماية من فرعون. أسمع ما تقولان لفرعون، وما يقول لكما، وأرىٰ ما تعملان من عمل، وما يعمل فرعون، وإني أنصركما عليه فأحق عملكما، وأبطل عمله. فأتياه إذًا، ولا ترددا، فقولا، أي: لفرعون ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ لنخرج بهم حيث أمر الله ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾[1].

هدايات الآية:

١- الخوف من الظالم الجبار لا ينافي التوكل علىٰ الواحد القهار، والأخذ بالأسباب والمسالك.

٢- عدم المؤاخذة علىٰ الخوف حيث وجدت أسبابه.

٣- تقرير معية الله تعالىٰ مع أوليائه، وصالح عباده بنصرهم وتأييدهم.

٤- التفكير في عواقب الأمور، ومآلاتها، وأسباب الموانع عند العزم علىٰ الفعل.

٥- بيان ضعف حال المرسل وقدرته لا يعد اعتراضا؛ فتصريح موسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام بالخوف من بطش فرعون لم يكن تَعَلُّلًا، وإنما المراد منه: إمداد المدد.

٦- تعهد المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام بالحفظ، وتطمينهما بأن شيئًا من هذا المتخوف منه لن يحدث؛ فهو السميع العليم بكل شيء، وهكذا حفظه لأوليائه الصالحين.

٧- نهىٰ الله تعالىٰ موسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام عن الخوف لا عن الحزن؛ بينما نهىٰ الرسول ﷺ صاحبه عن الحزن لا عن الخوف؛ لأن الحزن تألم

(١) المرجع السابق.

النفس من أمر واقع، وقد كان نهيه ﷺ إياه عنه في الوقت الذي أدرك المشركون فيه الغار بالفعل، ولم يقع الأمر في قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

آداب الدعاء:

١- بث الشكوىٰ لله تعالىٰ، والاستجارة به عند الشدائد.

٢- التوسل بالربوبية.

٣- الإفصاح عما يختلج في النفس من خوف، وتوقع النتائج السلبية وغير المرضية.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث
دعاء موسى ﷺ فترة إرساله إلى فرعون

المطلب الأول: تعوذ موسى ﷺ بالله، والاعتصام به من قتل قومه له:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر:٢٧]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ [الدخان:٢٠].

المعنىٰ الإجمالي: بين الله تعالىٰ تعوذ[1] موسىٰ ﷺ بربه، والمعنىٰ: اعتصم به، وتمنع من كل متكبر، أي: متصف بالكبر، لا يؤمن بيوم الحساب، أي: لا يصدق بالبعث والجزاء.

وسبب عياذ موسىٰ بربه: أن فرعون قال لقومه: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦]، فعياذ موسىٰ بالله إنما هو في الحقيقة من فرعون، وإن كانت العبارة أعم من خصوص فرعون؛ لأن فرعون لا شك أنه متكبر، لا يؤمن بيوم الحساب فهو داخل في الكلام دخولا أوليًا، وهو المقصود بالكلام.

وإنما خص موسىٰ ﷺ الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب؛ لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقا؛ لم يكن للثواب علىٰ الإحسان راجيًا، ولا للعقاب علىٰ الإساءة، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفًا، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس[2].

---

(١) والعوذ: الالتجاء إلىٰ الغير والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**﴾ [البقرة/ ٦٧]، ﴿**وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون**﴾ [الدخان/ ٢٠]، ﴿**قل أعوذ برب**﴾ [الفلق/ ١]، ﴿**إني أعوذ بالرحمن**﴾ [مريم/ ١٨]. وأعذته بالله أعيذه. قال: ﴿**إني أعيذها بك**﴾ [آل عمران/ ٣٦]، وقوله: ﴿**معاذ الله**﴾ [يوسف/ ٧٩]، أي: نلتجئ إليه ونستنصر به أن نفعل ذلك؛ فإن ذلك سوء نتحاشىٰ من تعاطيه. والعوذة: ما يعاذ به من الشيء، ومنه قيل: للتميمة والرقية: عوذة. وعوذه: إذا وقاه. وكل أنثىٰ وضعت فهي عائذ إلىٰ سبعة أيام. ينظر :المفردات في غريب القرآن (١/ ٥٩٥)، والموسوعة القرآنية (٨/ ٢٩٦).

(٢) ينظر : تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٥)، والتحرير والتنوير (٢٤/ ١٢٦).

هدايات الآية:

١ – الدعاء بالربوبية.

٢ – الآية تتجلىٰ فيها حرص موسىٰ ﷺ علىٰ نصحه لقومه بالثبات علىٰ الحق.

٣ –﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ دل علىٰ أنه إذا اجتمع في الرجل التجبر، والتكذيب بالجزاء، وقلة المبالاة بالعاقبة؛ فقد استكمل أسباب القسوة، والجرأة علىٰ الله، وعباده، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها[1].

٤ – ذم الاستكبار عن اتباع الحق، والتكذيب بالبعث، فهو رأس الأسباب التي تعين علىٰ قسوة القلب، وفساد النفس [2].

٤ – ﴿وَرَبِّكُم﴾: فيه بعث وحث لقومه علىٰ أن يقتدوا به، فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه، والدعاء أمام الآخرين مدعاة للاقتداء[3].

آداب الدعاء:

١ – صدق إيمان الداعية، وقوة يقينه ووثوقه برعاية الله تعالىٰ له.

٢ – اطمئنان الداعية بالالتجاء إلىٰ الله، وتسليم أمره إلىٰ المستعلي علىٰ كل متكبر، القاهر لكل متجبر، القادر علىٰ حماية العائذين به من المستكبرين.

٣– التعريض بالدعاء؛ فهو أبلغ وأشمل من التصريح.

---

(١) الكشاف (٤/ ١٦١).

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٨٧).

(٣) قال الرازي في الآيات التي تليها: "وَلَمَّا بَالَغَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ فِي هَذِهِ الْبَيَانَاتِ خَتَمَ كَلَامَهُ بِخَاتِمَةٍ لَطِيفَةٍ فَقَالَ: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ**﴾، وَهَذَا كَلَامٌ مُبْهَمٌ يُوجِبُ التَّخْوِيفَ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: أَنَّ هَذَا الذِّكْرَ يَحْصُلُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي الْقِيَامَةِ وَقْتَ مُشَاهَدَةِ الْأَهْوَالِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ، ثُمَّ قَالَ: وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَىٰ اللهِ، وَهَذَا كَلَامُ مَنْ هُدِّدَ بِأَمْرٍ يَخَافُهُ، فَكَأَنَّهُمْ خَوَّفُوهُ بِالْقَتْلِ، وَهُوَ أَيْضًا خَوَّفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾. ثُمَّ عَوَّلَ فِي دَفْعِ تَخْوِيفِهِمْ وَكَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ عَلَىٰ فَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَىٰ اللهِ﴾، وَهُوَ إِنَّمَا تَعَلَّمَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ مِنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا خَوَّفَهُ بِالْقَتْلِ رَجَعَ مُوسَىٰ فِي دَفْعِ ذَلِكَ الشَّرِّ إِلَىٰ اللهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ**﴾ [غافر: ٢٧] ". مفاتيح الغيب (٢٧/ ٥٢٠).

المطلب الثاني: الدعاء المتضمن ليقين الداعي بتغير الأحوال من الشر إلى الخير:

قال الله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩].

المعنىٰ الإجمالي: يقول تعالىٰ ذكره: قال قوم موسىٰ لموسىٰ حين قال لهم ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾، ﴿أُوذِينَا ﴾ بقتل أبنائنا ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾، يقول: من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا؛ لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظلَّه زمان موسىٰ. وقوله: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾، يقول: ومن بعد ما جئتنا برسالة الله؛ لأن فرعون لما غلبت سَحرَته، وقال للملأ من قومه ما قال، أراد تجديدَ العذاب عليهم؛ بقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم. وقيل: إن قوم موسىٰ قالوا لموسىٰ ذلك؛ حين خافوا أن يدركهم فرعون، وهم منه هاربون، وقد تراءىٰ الجمعان، فقالوا له: يا موسىٰ أوذينا من قبل أن تأتينا، كانوا يذبحون أبناءنا، ويستحيون نساءنا، ومن بعد ما جئتنا، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا، قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، هنا طمأنهم موسىٰ بأن الله لَا يخلف وعده، وأنه وعده بهلاك الطاغية العاتي. وقد تضمن كلامه أمورا ثلاثة: أولها: رجاء هلاك فرعون؛ لأن الله أعلمه بذلك، وأن لذلك وقتا معلوما، لم يحن حينه. ثانيها: أنهم يرثون الأرض من بعده، وأنهم سيكونون مستقلين أحرارا؛ ليس لأحد عليهم سلطان إلا الله. ثالثها: أنه قد تكون مخالفات، ومناقضات، ولذا قال: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فيرىٰ منكم عملكم، أو يقدر لكم من الجزاء بمقدار عملكم، والله بكل شيء عليم. وقوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ هو تصريح بما رمز إليه سابقًا من أن الأرض لله، وقد حقق الله رجاءه، وملكوا مصر في زمان داود وسليمان، وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون، وأهلك فرعون وقومه بالغرق، وأنجاهم؛ فينظر كيف تعملون من الأعمال بعد أن يمن عليكم بإهلاك عدوكم!

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٤٤).

ويستخلفكم في الأرض فيجازيكم بما عملتم فيه من خير وشر[(١)].

هدايات الآية :

١- تضمن رجاء موسىٰ ﷺ نعمتي السلب والإيجاب، الأولىٰ: إزالة الشيء الضار؛ بأن يهلك الله العدو فهي نعمة بمفردها. والثانية: أن يعطيني ملكه ومكانته فهذه نعمة أخرىٰ. ومثله: ما سيحدث يوم القيامة؛ لأن الحق يقول: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ومجرد الزحزحة عن النار فضل ونعمة، فما بالك بمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة! لقد نال نعمتين. وهنا يقول الحق سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾. وتلك وحدها نعمة تليها نعمة أخرىٰ هي: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

٢- النعم لا تدوم إلا بالشكر؛ ولذا بين موسىٰ ﷺ لقومه: أن نعمة الله عليكم بإهلاك عدوكم، وباستخلافكم في الأرض لن تترك هكذا؛ بل الله تعالىٰ رقيب عليكم، ينظر ماذا تفعلون! هل تستقبلون هذه النعم بالشكر، وزيادة الإيمان، واليقين، والارتباط بالله، أم تكفرون بهذه النعمة؟.

٣- بيان رحمة موسىٰ ﷺ ورأفته بقومه، واستعطافه لهم بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ ووعده لهم بالاستخلاف في الأرض.

٤- عدم اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ؛ بل التفاؤل والرجاء بما عند الله ﷻ حتىٰ في أحلك الظروف.

٥- نصح المدعوين بالإرشاد والتوجيه، والتحذير مما لا يرضي الله ﷻ، والتحريض علىٰ الاستكثار من الطاعة؛ ليستحقوا وصف المتقين تذكيرًا لهم بأنه عليم بما يعملونه.

---

(١) ينظر : الشوكاني (٢/ ٢٦٧): وهو ما لحقهم من الاستعباد، وتكليفهم الأعمال الشاقة عليهم في خدمة فرعون، وما توعدهم به فرعون بعد بعثة موسىٰ من القطع، والصلب، وقتل الأبناء. وكأنهم أرادوا التعريض بنفاد صبرهم، وأن الأذىٰ الذي مسهم بعد بعثة موسىٰ لم يكن بداية الأذىٰ؛ بل جاء بعد طول مدة في الأذىٰ. فلذلك جمعوا في كلامهم ما لحقهم قبل بعثة موسىٰ. ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٦١).

٦- استحسان رفع معنويات المؤمنين بذكر حسن العاقبة، والتبشير بوعد الله لأوليائه أهل التقوىٰ[(١)].

٧- بيان علة استخلاف الله ﷻ لنا في الأرض، والأموال، والمناصب ليرىٰ ماذا نفعل؟ هل نطيعه فيها، أم نعصيه؟ وهل نعتمد عليها، أم نتوكل علىٰ الله وحده؟.

آداب الدعاء:

١- رجاء الله سبحانه وتعالىٰ بتحقيق نعمتين.

٢- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بالرجاء فـ﴿عَسَىٰ﴾ تدل علىٰ الرجاء، وما بعدها يكون مرجو الحصول. وعَسىٰ من الله واجبة. وقد استخلفوا في مصر في زمن داود وسليمان، وقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع. وهناك فرق بين التمني وبين الرجاء[(٢)].

٣- التأدب مع الله تعالىٰ، حيث جاء بفعل الرجاء دون الجزم؛ تأدبًا مع الله تعالىٰ، وإقصاءً للاتكال علىٰ أعمالهم، ليزدادوا من التقوىٰ، والتعرض إلىٰ رضىٰ الله تعالىٰ، ونصره.

المطلب الثالث: مشروعية الدعاء بالهلاك على أهل الظلم إذا اشتد أذاهم، وعُلم إصرارهم على الفساد:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

---

(١) أيسر التفاسير (٢/ ٢٤٢).

(٢) فالتمني: أن تتطلب أمرًا مستحيلاً، وأنك تريد بالتمني: إشعار حبك له. فأنت إذا قلت: ليت الشباب يعود؛ فهو مستحيل، ولكنك تعلن حبك لمرحلة الشباب. لكن «الرجاء»: شيء محبوب يوشك أن يقع. فالرجاء أقوىٰ من التمني. وأداة التمني «ليت»، وأداة الرجاء «عسىٰ». وأقوىٰ مراحل الرجاء هي: الرجاء من الله تعالىٰ؛ لأنه محقق، والله سبحانه لا يعجزه شيء. وقوله تعالىٰ: ﴿**عسىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ**﴾: والكلام كما نراه هو من موسىٰ، ولا يقدر علىٰ هذه المسألة إلا الله، فما موقع هذا من تحقيق الرجاء؟. نعلم أن موسىٰ رسول، أرسله الله لهداية الخلق، وأرسله مؤيدًا بالمعجزة، فإذا كان الرسول المؤيد بالمعجزة قد أمره الله أن يبلغهم ذلك، فيكون الرجاء منه مقبولًا: ﴿**عسىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ**﴾. التحرير والتنوير(٩/ ٦٣).

﴿٨٩﴾ ﴾ [يونس:٨٧-٨٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الدخان :١٧-٢٤].

المعنىٰ الإجمالي: يخبر الله تعالىٰ عن حال فرعون وقومه، فبعد أن لج فرعون في العناد والمكابرة بعد هزيمته، سأل موسىٰ ﷺ ربه؛ وقد علم بعدم إصلاح فرعون وملئه قائلًا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ﴾ أي: أعطيتهم ﴿زِينَةً﴾ الكثير من مظاهر الرفاهية، والتنعم، وما يتزين به من الملابس، والفرش، والأثاث، وأنواع الحلي، والحلل، ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾ أي: أعطيتهم الكثير من الأموال؛ الذهب، والفضة، والأنعام، والحرث ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في هذه الحياة الدنيا؛ ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ﴾ أي: فيسبب ذلك لهم الضلال. والمعنىٰ: أعطيتهم ما أعطيتهم من الزينة والمال؛ ليخلصوا لك العبادة والطاعة، وليقابلوا هذا العطاء بالشكر، ولكنهم لم يفعلوا؛ بل قابلوا هذه النعم بالجحود والبطر، فكانت عاقبة أمرهم الخسران والضلال. إذًا: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي: أذهب أثرها بمسحها، واجعلها غير صالحة للانتفاع بها. والطمس: الإهلاك والإتلاف، ومحو أثر الشيء. يقال: طمس الشيء ويطمس طموسًا إذا زال بحيث لا يرىٰ، ولا يعرف لذهاب صورته. ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اطبع علىٰ قلوبهم، واستوثق منها؛ فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم، الموجع أشد الإيجاع. والشد: الربط والطبع علىٰ الشيء، بحيث لا يخرج منه ما هو بداخله، ولا يدخل فيه ما هو خارج منه. فجاءت الإجابة من الله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾؛ لأن الدعاء كان من موسىٰ، وهارون يُؤمِّن عليه، والمؤمِّن أحد الداعيَيْن. ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ علىٰ طاعتنا بالدعوة إلينا، وأداء عبادتنا، والنصح لعبادنا، والعمل علىٰ إنقاذ عبادنا من ظلم الظالمين. ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فتستعجلا وقوع العذاب؛ فإن الذين لا يعلمون ما لله من

حكم، وتدابير، وقضاء وقدر، يستعجلون الله تعالىٰ في وعده لهم، فلا تكونوا مثلهم، بل انتظروا وعدنا، واصبروا حتىٰ يأتي وعد الله، وما الله بمخلف وعده(1). وفي الآية الأخرىٰ: بين تعالىٰ أن موسىٰ استعاذ بربه؛ من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلىٰ المرجوم أذىً ومكروهًا، شتمًا كان ذلك باللسان، أو رجمًا بالحجارة باليد.

ودعا موسىٰ ربه أنهم كذّبوه ولم يؤمنوا به، وأنهم مجرمون، فاستجاب الله تعالىٰ دعاءه، وأغرق فرعون ومن معه(2).

---

(1) ذكر المفسرون ثلاثة أقوال في معنىٰ اللام في (ليضلوا): الأول: أنها لام العاقبة والصيرورة، وهي الدالة علىٰ أن ما بعدها أثر وغاية فعلية لمتعلقها، يترتب عليه بالفعل لا بالسببية، ولا بقصد فاعل الفعل الذي تتعلق به كقوله تعالىٰ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾. القول الثاني: أنها لام للتعليل، والفعل منصوب بها، فيكون المعنىٰ: وقال موسىٰ مخاطبا ربه: يا ربنا، إنك قد أعطيت فرعون وملأه زينة، وأموالا في الحياة الدنيا، وإنك يا ربنا، قد أعطيتهم ذلك علىٰ سبيل الاستدراج؛ ليزدادوا طغيانا علىٰ طغيانهم، ثم تأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وشبيه بهذه الجملة في هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ، إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمرآن: 178]، وهذا ما رجحه الطبري، فقال: "والصواب من القول في ذلك عندي أنها لام كي، ومعنىٰ الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال؛ لتفتنهم فيه، ويضلوا عن سبيلك عبادك عقوبة منك لهم، وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:16-17]. القول الثالث: أنها لام الدعاء، وأنها للدعاء عليهم بالزيادة من الإضلال والغواية، فيكون المعنىٰ: وقال موسىٰ: يا ربنا، إنك أعطيت فرعون وملأه زينة، وأموالا في الحياة الدنيا، اللهم يا ربنا، زدهم ضلالا علىٰ ضلالهم. وهو رأىٰ الزمخشري، فقد قال ما ملخصه: "فإن قلت: ما معنىٰ قوله: لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ؟ قلت: هو دعاء بلفظ الأمر كقوله: ربنا اطمس واشدد. وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا، وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا. وحذرهم من عذاب الله ومن انتقامه، وأنذرهم سوء عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال، ورآهم لا يزيدون علىٰ عرض الآيات إلا كفرًا، وعلىٰ الإنذار إلا استكبارًا، وعن النصيحة إلا نبوًا، ولم يبق له مطمع فيهم. وعلم بالتجربة وطول الصحبة أو بوحي من الله، أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال، دعا عليهم. والزينة سبب الكبر، والخيلاء، والطغيان علىٰ الناس، وكثرة الأموال تمكنهم من ذلك، وتخضع رقاب الناس لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: 6، 7]. فهذه الأقوال الثلاثة، لكل واحد منها اتجاهه في التعبير عن ضيق موسىٰ ﷺ لإصرار فرعون وشيعته علىٰ الكفر، ولما هم فيه من نعم لم يقابلوها بالشكر، بل قابلوها بالجحود والبطر. ينظر : تفسير الطبري (15/ 179)، وتفسير الزمخشري الكشاف (2/ 366)، والتحرير والتنوير (11/ 272).

(2) تفسير الطبري (22/ 21).

هدايات الآية:

١- العطاء الجزيل قد يضعف الإيمان في نفوس البعض، إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الناظرين إليها، وإما بالترهيب الذي يملكه هؤلاء المنعمون؛ بحيث يصيرون قادرين علىٰ إذلال غيرهم.

٢- الزينة سبب الكبر، والخيلاء، والطغيان علىٰ الناس، وكثرة الأموال تمكنهم من ذلك، وتخضع رقاب الناس لهم، كما قال: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

٣- تسلية الرسول ﷺ حيث أراه كيف انتصر موسىٰ بالمعجزات، ومع ذلك لم يتبعه إلا القليل.

٤- التنديد بالعلو في الأرض، والإسراف في الشر والفساد، وبأهلهما.

٥- الدعاء قام به موسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام، لكن ذكر موسىٰ تشريفًا له، وهارون كان مؤمِّنًا علىٰ دعائه.

٦- إن فرعون قد بلغ في الإجرام والعتو ما جعل موسىٰ ﷺ يدعو عليه ألا ينتفع بالآيات؛ وذلك لخبثه، ولربما يكون قد أوحي إليه أن فرعون لن يؤمن؛ ولذلك دعا عليه.

٧- دلت الآية علىٰ: أن الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب، ففرعون الذي أظهر التكذيب كان في باطنه مصدقًا، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، وكما قال موسىٰ لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ومع هذا لم يكن مؤمنًا؛ بل قال موسىٰ: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، قال الله: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾. ولما قال فرعون: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ ﴾ [يونس: ٩١]. فوصفه بالمعصية، ولم يصفه بعدم العلم في الباطن، كما قال: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٦][1].

(١) الإيمان لابن تيمية (١/ ١٤٢).

آداب الدعاء:

١- قدم موسىٰ ﷺ بين يدي دعائه علىٰ فرعون وقومه ذكر طغيانهم؛ ليكون أرجىٰ لاستجابة الله له، وتشهيرا بهؤلاء الذين لم يقدروا نعم الله حق قدرها.

٢- كرر النداءَ: (ربنا)؛ مبالغة في الضراعة إليه تعالىٰ، حتىٰ يستجيب له لمبالغتهم في العناد والطغيان، والتنكر لأَنعُم الله، ومقابلتهم الإحسان بالكفران.

٣- أوضحت الآية في الدلالة علىٰ: تأثير الدعاء في الإجابة، حيث استغاث إلىٰ الله تعالىٰ بعد أن ابتهل إليه، فدل هذا علىٰ ترتيب الإجابة علىٰ الدعاء.

٤- من أسباب إجابة الله تعالىٰ للدعاء: اختيار الألفاظ الحسنة في الدعاء.

٥- توسل موسىٰ ﷺ بـ:

أ- الربوبية (ربنا)، فالتوسل إلىٰ الله عز وجل بالربوبية فيها شهود تدبير الخلق كله خلقًا، وإيجادًا، ورزقًا، وإعطاءً، وقسمًا، وتنويعًا للعطايا والأرزاق؛ بين البشر والرب المالك لكل ذرات هذا الوجود، والمالك لكل ما سواه. وهو السيد الآمر الناهي المطاع؛ قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف:٥٤]. فاستحضار هذه المعاني عند الدعاء من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

ب- بتدبير الله ﷻ وعطائه ومنعه، فموسىٰ ﷺ قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ ﴾ ولم يقل: يا رب، فرعون عنده كذا، وله من السلطان والأموال كذا، وإنما قال: إنك آتيت، فالله تعالىٰ هو المعطي الذي يؤتي سبحانه[1].

(١) وإنها لحقيقة جلية ظاهرة، مع أنها تشبه الموت؛ في كون أكثر الناس يشكون؛ في أن الله هو الذي آتىٰ من آتىٰ ملكًا، ومالًا، وزينة. والعاقل إذا تدبر بداية الإنسان ونهايته، وإذا تدبر أن كل من أعطي مالًا وُلِدَ من عدم، ووُلِدَ بعد أن كان في بطن أمه لا يملك شيئًا! قال تعالىٰ: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل:٧٨]. أين كانت أموال الأغنياء منذ مائة سنة؟ كانت في أيدي غيرهم، أين السلطان الذي بيد أهل السلطان اليوم؟ أين كان قبل مائة سنة، أو قبل مائة وخمسين سنة؟ هل كان لأحد منهم ذرة سلطان علىٰ وجه الأرض؟ وهل كان يملك أحد منهم أن يوجد نفسه فضلًا عن أن يعطيها شيئًا من العطايا؟ لا، هو الذي خلق، وأعطىٰ السمع، والبصر، والفؤاد، فالله هو الذي يؤتيه ذلك ويحرمه. وهذه قضية يقينية لا يشك فيها عاقل، أنهم ما أعطوا وما أتوا به من قبل أنفسهم، والذين في قلوبهم مرض يشكون في هذا؛ بل ربما جزموا =

ج- استحضار أن الكفرة والظلمة وأعداء الإسلام آلة؛ لنفوذ قضاء الله وقدره، فالأمور ليست بأيدهم، لذا يجب اللجوء إلىٰ الله تعالىٰ بالخوف والرجاء، وهذا ما فعله موسىٰ ﷺ.

* * *

=

بضعف عكسها، جزموا بأن السلطان بأيدي البشر، وجزموا بأن المال هو من كدهم، وصنعهم دون أن يكون عطية من الله؛ ولذا تجدهم يرجون، ويخافون غير الله، ويعملون حساب الزينة، والأموال في الحياة الدنيا. ينظر :دروس للشيخ ياسر برهامي (٦٨/ ١٠).

المبحث الرابع

دعاء موسى فترة دعوته لبني إسرائيل، وبعد هلاك فرعون

المطلب الأول: طلب رؤية الله تبارك ذو الجلال والإكرام:

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٤٣][1].

المعنىٰ الإجمالي: ما زال السياق في ذكر أحداث موسىٰ ﷺ مع بني إسرائيل: أنه لما نجىٰ الله تعالىٰ بني إسرائيل من فرعون وملئه، وحدثت حادثة طلب بني إسرائيل من موسىٰ؛ أن يجعل لهم إلهًا كما للمشركين إلهًا، وقد أنبأهم موسىٰ وأدبهم عن قولهم الباطل؛ واعد الله تعالىٰ موسىٰ أن يناجيه بجبل الطور، وجعل له الموعد الذي يلقاه فيه شهرًا - ثلاثين يومًا - وزادها عشرًا، فتم الميقات أربعين ليلة[2]، وعند خروجه عليه الصلاة والسلام استخلف في بني إسرائيل أخاه هارون، وأوصاه بالإصلاح، ونهاه عن إتباع آراء المفسدين؛ هذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾[الأعراف:١٤٢]. وكان ذلك من أجل أن يأتي بني إسرائيل بكتاب من ربهم؛ يتضمن شريعة كاملة يساسون بها، وتحكمهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ الذي وقتناه له لإنزال الكتاب، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بما كلمه من وحيه، وأمره، ونهيه بلا واسطة بينهما، بل كان يسمع كلامه، ولا يرىٰ ذاته ﷻ؛ تاق وتشوق إلىٰ رؤية الله تعالىٰ، ونزعت نفسه لذلك، حبًا لربه، ومودة

(١) الآيات قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣-١٤٤].

(٢) ينظر: أيسر التفاسير (٢/ ٢٣٤)، وفيه ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري: أن الشهر كان ثلاثين يومًا، وكانت شهر القعدة، وزادها عشرًا من أول الحجة.

لرؤيته، فـ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالىٰ لا يرىٰ في الدنيا ؟ قال الحسن: هاج به الشوق، فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية؛ ظنًا منه أنه يجوز أن يرىٰ في الدنيا، ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي : لن تقدر الآن علىٰ رؤيتي؛ فإن الله تبارك وتعالىٰ أنشأ الخلق في هذه الدار علىٰ نشأة لا يقدرون بها، ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل علىٰ أنهم لا يرونه في الجنة، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية: علىٰ أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالىٰ، ويتمتعون بالنظر إلىٰ وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها علىٰ رؤية الله تعالىٰ[1]، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية علىٰ ثبوت الجبل،

(١) وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا : قال الله تعالىٰ: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولن: تكون للتأبيد. ولا حجة لهم فيها، فقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ علىٰ النفي المطلق، والرد علىٰ ذلك من وجوه: الوجه الأول: أن سؤال موسىٰ ربه أن يراه دليل علىٰ جواز رؤيته سبحانه؛ إذ موسىٰ أعلم بالله من أن يسأله مستحيلا في حقه، ودعوىٰ أنه إنما سأله ليقيم الحجة علىٰ قومه؛ عارية عن الدليل بل هي محض تخرص، فموسىٰ إنما سأل ربه منفردا، ودون سابق طلب من قومه، كما تدل عليه الآيات في قوله تعالىٰ: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف:١٤٢ – ١٤٣]. فواضح أنه لا دلالة في منطوق النص ولا في مفهومه؛ علىٰ أن طلب موسىٰ الرؤية كان لإقناع بني إسرائيل باستحالتها، كيف وقد طلب الرؤية حال اعتكافه وخلوته! ثم لماذا يطلب التوبة من سؤاله الرؤية إذا كان إنما سألها لإقامة الحجة علىٰ بني إسرائيل!؟. الوجه الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان ما سأله محالا وممتنعا؛ لأنكر الله عليه سؤاله، كما أنكر علىٰ نوح عليه السلام سؤاله نجاة ابنه، وقال سبحانه لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود:٤٦]. الوجه الثالث: أنه تعالىٰ قال: ﴿**لَنْ تَرَانِي**﴾، ولم يقل: إني لا أُرىٰ، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر: ألا ترىٰ أن من كان في كمِّهِ حجر فظنه رجلٌ طعامًا، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح أن يقول: إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاما، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل علىٰ أنه سبحانه مرئي، ولكن موسىٰ لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوىٰ البشر فيها عن رؤيته تعالىٰ، يوضحه قوله: ﴿**وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار؛ فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف!. الوجه الرابع: تجليه سبحانه للجبل: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ فإذا جاز أن يتجلىٰ للجبل الذي هو جماد؛ فكيف يمتنع أن يتجلىٰ لرسله وأوليائه في دار كرامته!. الوجه الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿**وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى**
=

فقال مقنعا لموسىٰ في عدم إجابته للرؤية: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ إذا تجلىٰ الله له ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ الأصم الغليظ – فالجبل أمكن وأثبت، والجبل مع تمكنه وثباته أقل تأثرًا واستجابة من الكيان البشري – ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾، أي: انهال مثل الرمل، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ﴾ حين رأىٰ ما رأىٰ ﴿صَعِقٗا﴾، أي: مغشيا عليه[1]، فتبين له حينئذٍ: أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله؛

=

﴿الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ حيث علّق سبحانه رؤيته علىٰ استقرار الجبل، واستقرار الجبل أمر ممكن، والمعلّق علىٰ الممكن ممكن. الوجه السادس: أن دعواهم أن: ﴿لَنْ﴾ تفيد النفي المؤبد مردودة؛ كما قد نص علىٰ ذلك أئمة اللغة. يقول ابن مالك في ألفيته:

ومن رأىٰ النفي بلن مؤبدا ** فقوله اردد وسواه فاعضدا

ومما يدل علىٰ بطلان ادعاء أن: ﴿لَنْ﴾ تفيد النفي المؤبد: قوله تعالىٰ عن الكفار: ﴿**ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم**﴾ أي: الموت، فلو كانت ﴿لَنْ﴾ تفيد التأبيد المطلق؛ لما صح أن يتمنىٰ كافر الموت لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكن الله ذكر أن الكفار يتمنون الموت في الآخرة، كما في قوله سبحانه: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. فدل علىٰ أن: ﴿لَنْ﴾ لا تفيد النفي بإطلاق؛ بل يمكن تقييدها بأدلة أخرىٰ. وعليه فيكون معنىٰ قوله تعالىٰ لموسىٰ: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي: في الدنيا. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي (١/ ١٩١)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير (٥/ ١٠٧)، وملتقىٰ أهل التفسير (١٠/ ٧٢٦).

ورؤية الله إذا كانت جائزة عقلًا في الدنيا؛ فمن باب أولىٰ أن تكون جائزة عقلًا في الآخرة؛ لأن الأبصار في الآخرة أقوىٰ منها في الدنيا، قال الله جل وعلا: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢]. وإذا كانت في الدنيا ممتنعة شرعًا؛ فإنها في الآخرة واقعة شرعًا للمؤمنين في الجنة. وقد نص القرآن والسنة علىٰ هذا، قال الله جل وعلا في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]، بالضاد، والمعنىٰ: تعلوها النضرة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣]، أي: تبصر ربها من غير إحاطة؛ لأن الله يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فالله جل وعلا لا تدركه أبصار خلقه. ينظر: تأملات قرآنية للمغامسي (١٢/ ٧).

(١) فيه بيان لفضل موسىٰ عليه الصلاة والسلام، قال الرسول ﷺ: (**لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَىٰ**). أخرجه البخاري في: كتاب الخصومات، باب: ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم (٢٤١٢) (٣/ ٢٢١). ومع ما أوتيه صلىٰ الله عليه وسلم من العلم يقول: أنا لا أعرف هل اكتفىٰ الله بأنه صعقه مرة واحدة يوم قال: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ [الأعراف:١٤٣].

فموسىٰ أولىٰ أن لا يثبت لذلك. واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال. ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ مما اعتراه من الصعق ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾، أي: تنزيها لك، وتقديسًا، وتعظيما عما لا يليق بجلالك؛ ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من جميع الذنوب، ولن أسألك بعد مثل هذا السؤال، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بك، وبجلالك، وعظيم سلطانك، وأنا عبدك عاجز عن رؤيتك في هذه الدار، دار التكليف والعمل.

فجدد عليه الصلاة والسلام إيمانه؛ بما كمل الله له مما كان يجهله قبل ذلك. فلما منعه الله من رؤيته سبحانه بعدما ما كان متشوقا إليها؛ أعطاه خيرا كثيرا، فقال: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: اخترتك، واجتبيتك، وفضلتك، وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾ التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق، ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾ إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسىٰ الكليم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين. ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من النعم، وخذ ما آتيتك من الأمر، والنهي بانشراح صدر، وتلقه بالقبول والانقياد. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ لله علىٰ ما خصك وفضلك[1].

وكما هو معلوم أن حادثة دك الجبل كانت بعد عبور بني اسرائيل للبحر وغرق فرعون.

هدايات الآية:

١ - استحالة رؤية الله ﷻ في الدنيا؛ لضعف الإنسان علىٰ ذلك، وإمكانيتها في الآخرة لأهل الجنة[2].

٢ - إعلام الله ﷻ نبيه موسىٰ ﷺ سبب عدم الرؤية؛ فيه دليل علىٰ إيجاد البدائل المقنعة، والمرضية للآخر إذا مُنع من تلبية طلبه. فمن الناس من يحجم عن بيان

---

(١) ينظر السعدي (١/ ٢٠٢) بتصرف. وأيسر التفاسير (٢/ ٢٣٣).

(٢) سؤال موسىٰ رؤية الله تعالىٰ: كان تَطَلُّعًا إلىٰ زيادة المعرفة بالجلال الإلهي؛ لأنه لَمَّا كانت المواعدة تتضمن الملاقاة، وكانت الملاقاة تعتمد رؤية الذات، وسماع الحديث، وحصل لموسىٰ أحد رُكْنَيِ الملاقاة وهو التكليم، أطمعه ذلك في الركن الثاني وهو المشاهدة. ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٨٩).

السبب في منعه لطلب الآخرين، مما يدل علىٰ القسوة، والغلظة.

٣- الرسل هم أول المؤمنين بعظمة ربهم، وجلاله، وبما ينزله عليهم من كلماته(١).

٤- أدركت موسىٰ رحمة الله بتلقي بشرىٰ الاصطفاء، مع التوجيه له بالرسالة إلىٰ قومه بعد الخلاص، وكانت رسالته إلىٰ فرعون وملئه من أجل هذا الخلاص.

٥- أثبت القرآن الكريم بصريح القول تكليمين لموسىٰ عليه الصلاة والسلام، وهنا التكليم غير التكليم الأول الذي أرسله به إلىٰ فرعون. وفي هذا التكليم الثاني سأل النظر، لا في الأول، وفيه أعطىٰ الألواح. وكان عن مواعدة من الله له. والتكليم الأول لم يكن عن مواعدة، وذلك بإجماع السلف (٢).

٦- اقتران التسبيح بالتوبة، وبيان فضل التسبيح ومواطنه.

آداب الدعاء:

١- التوسل بالربوبية.

٢- الطلب بالتصريح دون التعريض، بصيغة مباشرة.

المطلب الثاني: مشروعية الدعاء لمن أخطأ في حقه بالمغفرة والرحمة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف:١٥١](٣).

المعنىٰ الإجمالي : يخبر سبحانه وتعالىٰ عن موسىٰ ﷺ عندما كان علىٰ موعد مع ربه ﷻ، فذهب إليه ومكث أربعين يومًا، وعاد إلىٰ قومه، فوجد قومه قد غيروا ما كانوا عليه من التوحيد، وعبدوا العجل، وذلك بتسويل، وتزيين السامري لهم ذلك،

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١٢٦٨).

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (١/ ٤١).

(٣) الآية السابقة لها ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَىٰ الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠].

حيث صنع لهم عجلًا جسدًا له خوار؛ ذلك العجل الذي صنعه من الذهب الذي أخذوه من القبط قبل خروجهم من مصر، وخلطه بتراب من أثر الرسول (جبريل عليه الصلاة والسلام)، وكان يصدر صوتًا، وأصبح فتنة لهم، فعبدوه وقالوا ما حكاه الله ﷻ عنهم: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه:٨٨].

هذا وقد حاول هارون ﷺ أن يثنيهم عن عزمهم الباطل، فلم يقدر عليهم، وأصروا على شركهم. فلما رأى موسى ﷺ وقد تغير حال قومه من توحيد إلى شرك؛ ألقى الألواح التي فيها التوراة، وأمسك برأس أخيه هارون يجره إليه؛ فقال له: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه:٩٤]. وقال له: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وترقق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه؛ ليستجر العاطفة من موسى ﷺ، فذكر الأم هنا أرق وأبلغ. فيه إشارة إلى بيان عظم منزلة الأم. فتبين موسى ﷺ أن أخاه هارون بريء من عمل قومه، وأنه لم يأل جهدا في تذكيرهم، وتحذيرهم مما هم عليه؛ عندها دعا ربه ﷻ قائلا: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. ألا ما أعظمه من دعاء توسّل به موسى ﷺ فيه! بكون الله ﷻ هو أرحم الراحمين، بأن يغفر له ولأخيه؛ ما قد يكون فرط منهما من تقصير في جانب ربهم، والدعوة التي كلّفا به، وأن يدخلهما في رحمته التي وسعت كل شيء، فلا يؤاخذهما بما اقترف قومهم، وافتروه على الله ﷻ، وطلبه المغفرة من الله مما فرط منه في جانب أخيه، ثم طلب المغفرة لأخيه إن كان قد وقع منه تقصير فيما يجب عليه من الإنكار عليهم، وتغيير ما وقع منهم من عبادة العجل.

هدايات الآية:

١- عدم التّسرّع في إلقاء اللّوم على الدعاة لتقصيرهم، دون الوقوف على أسباب هذا التقصير.

٢- للدّاعية أن يُبدي غيرته، وغضبه، على ما يُرتكَب من المُنكَرات؛ وهذا ما

فعَله موسىٰ ﷺ.

٣- عدم التّصدّي للمُنكَر إذا كان سيؤدِّي إلىٰ ما هو أشدّ منه مُنكرًا؛ وقد برّر هارون ﷺ ذلك لسببيْن: الأول: أنّ القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه. والثاني: خشية حصول الفرقة.

٤- تدل الآية علىٰ أن الأمر بالمعروف قد يسقط في حال الخوف علىٰ النفس، وفي الحال الذي يعلم أنه لا ينفع. لذلك قال هارون: ﴿ٱسْتَضْعَفُونِي﴾[1].

آداب الدعاء:

١- أن يبدأ المؤمن في الدعاء لنفسه، ثم لمن سواه.

٢- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ في قبول الدعاء بصفة الرحمة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٣- قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ اشتمل هذا الدعاء علىٰ رجاء تحقيق غاية المنىٰ؛ لأن المغفرة تحقق الستر، والصفح عما وقع، والرحمة تحقق العون، والتوفيق والنصر، والهداية الدائمة[2].

٤- أن يتخير من أسماء الله تعالىٰ ما يناسب حاجته، فيدعوه به.

المطلب الثالث: التوسل المؤدي لاستجابة الدعاء:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ

---

(١) محاسن التأويل (٥/ ١٨٨).

(٢) اشتمال الدعاء علىٰ طلب الرحمة كونها مطلب ضروري للخلق، بدونها لا يسعدون، ولا يأمنون، بل يخسرون ويضلون. ومن ثم تضرع الأنبياء لربهم سائلين الله تعالىٰ رحمته، فقول موسىٰ ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ أي: في وسطها، واجعل رحمتك تحيط بنا من كل جانب، فإنها حصن حصين، من جميع الشرور، وثم كل الخير وسرور. تفسير السعدي (١/ ٢٠٢).

ﭐلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف:١٥٥-١٥٦][1].

المعنىٰ الإجمالي: عُطِفَتْ جملة ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ ﴾ علىٰ جملة ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ ﴾عطف القصة علىٰ القصة. فما زال السياق في أحداث موسىٰ مع بني إسرائيل: فإنه بعد الحدث الجلل الذي حصل في غيبة موسىٰ؛ وهو عبادة بني إسرائيل العجل، واتخاذهم له إلهًا، فإن الله تعالىٰ وقت لموسىٰ وقتًا، يأتيه فيه مع خيار بني إسرائيل؛ يطلب لهم التوبة من الله سبحانه وتعالىٰ. ولما انتهىٰ بهم إلىٰ جبل الطور، وغشيت الجبل غمامة، أخذ موسىٰ يناجي ربه تعالىٰ وهم يسمعون، قالوا لموسىٰ: لن نؤمن لك بأن الذي كان يكلمك الرب تعالىٰ، حتىٰ نراه عيانًا؛ فغضب الله تعالىٰ عليهم، فأخذتهم صيحة رجفت لها قلوبهم، والأرض من تحتهم، وماتوا كلهم. وهنا أسف موسىٰ ﷺ لموت السبعين رجلًا. وقد اختارهم الخَيرُ فالخَير؛ فإذا بهم يموتون أجمعون؛ فخاطب ربه قائلًا: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ ﴾ من قبل مجيئنا إليك، ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ ﴾ بسبب فعل السفهاء الذين لا رشد لهم. وهم من عبدوا العجل كمن سألوا رؤية الله تعالىٰ؛ ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ إلا اختبارك، وبليتك، ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ فليس لنا سواك؛ ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾ ذنوبنا، ﴿وَٱرۡحَمۡنَاۖ ﴾ برفع العذاب عنا، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾. ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ ﴾ بأن توفقنا لعمل الصالحات، وتتقبلها منا. وحسنة الدنيا: تشمل كل ما يَسُرُّ الإنسان ويرتفق به، ويحتاجه الإنسان مما هو طيب صالح. ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ تغفر ذنوبنا، وتدخلنا جنتك مع سائر عبادك الصالحين. وحسنة الآخرة: الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية. ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ إنا تبنا إليك، ورجعنا إليك، نادمين علىٰ ما وقع منا، ومن سفهائنا؛ فلا تؤاخذنا بسيئات أعمالنا،

---

(١) بين الله ﷻ جزاء الذين اتخذوا العجل وأنه سبحانه يتوب علىٰ من تاب، في الآيات السابقة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٥٢-١٥٣].

ولا بتقصيرنا، وتفريطنا. فأجابه الرب تعالىٰ بقوله: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ من عبادي، وهم الذين يفسقون عن أمري، ويخرجون عن طاعتي، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

هدايات الآية:

١- يجب التَّوَقِّي من غضب الله وخوف بطشه.

٢- بيان لمقام الرسل من الخشية.

٣- كل سلوك ينافي الشرع فهو من السفه المذموم، وصاحبه قد يوصف بأنه سفيه.

٤- الهداية والإضلال كلاهما بيد الله تعالىٰ؛ فعلىٰ العبد أن يطلب من الله تعالىٰ الهداية.

٥- التجرد في التوسل بالخالق، وبأسمائه، وصفاته دون جاه المخلوق، ومنزلته. فقد علمَ موسىٰ عليه الصلاة والسلام أن قبله أنبياء، ورسلًا أحباء علىٰ الله، كرماء، وذوي منزلة، وجاه عظيم عنده، فلم يتوسل بهم إليه تعالىٰ، ولا بأعمالهم، ولا بجاههم؛ لأنه يعلم أن أعمالهم إنما هي لهم، وليس له بأن يدل علىٰ الله بها. وأنه ليعلم أن جاههم عليهم الصلاة والسلام عظيم ولا شك، ولكنه لم يتوسل به إلىٰ الله تعالىٰ؛ بل قدم تمجيدًا لله، وتعظيمًا وتقديسًا بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ. ثم قدم إليه توبة من كل ذنب، فكان ذلك التوسل مقبولًا لدىٰ الله تعالىٰ، وتقدس؛ فاستجاب دعاءه، وعفا، ورحم، وغفر، وأحسن في الدنيا والآخرة؛ وهو لذلك أهل، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

٦- الآية فيها دليل علىٰ الترغيب في الدعاء؛ لأن من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة، وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبه[١].

آداب الدعاء:

١- قدم موسىٰ ﷺ بين يدي دعائه هنا توسلات عظيمة، وهي:

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٢٥٢).

أ- التوسل إلىٰ الله ﷻ بولايته من أعظم أنواع التوسل. فتوسل إليه باسمه الذي هو من الأسماء الحسنىٰ؛ فهو سبحانه الولي، والنصير. ولا شك أن الله ولي الذين آمنوا، ونصيرهم، وناصرهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهو توسل بكونه محبوبًا لله ﷻ؛ إذ لا ولاية بغير محبة. فهو ولي له، ولعباده الصالحين، أي: متوليهم بعنايته، ونصره.

ب- التوسل بصفة غفران الله ﷻ لذنوب عباده، وتجاوزه عن سيئاتهم، فهو خير من يغفر ويعفو عنهم، ويصفح عن زلاتهم، ويستر خطاياهم، وهو من أعظم أنواع التوسلات الصحيحة إلىٰ الله ﷻ.

ج- توسل بقوله: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: تبنا إليك، ورجعنا إليك، نادمين علىٰ ما وقع منا ومن سفهائنا. فلا تؤاخذنا بسيئات أعمالنا، ولا بتقصيرنا، وتفريطنا. فتوسل بالتوبة، والعودة إليه، وترك ما لا يريده ولا يحبه ﷻ.

د- التوسل برحمته التي وسعت كل شيء.

ه- التوسل بمشيئته تعالىٰ التي هي صفة من الصفات العلىٰ؛ التي يتصف بها الرب جل شأنه، وإنها هي الغالبة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، إن الحكم إلا له، وإن الأمر إلا أمره، له الخلق والأمر.

٢- عرض سبب الطلب ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، فمعنىٰ الفاء هنا: بسبب ما تقدم من ذنب القوم.

٣- العلم بصفات الله تعالىٰ، علم موسىٰ أنه رب كريم، فلم يكتف بطلب المغفرة والرحمة بل استزاد من الكريم فقال: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾.

المطلب الرابع: الاعتذار في الدعاء، وطلب الفصل:

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ

ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المائدة :٢٥](١).

المعنىٰ الإجمالي : ابتدأ موسىٰ ﷺ قوله بالاتجاه إلىٰ ربه؛ الذي خلقه، ورباه، وكوَّن جسمه، ونفسه، وذلك بالضراعة إليه، وبيان أنه أعلم بحاله، وأنه في طاعته لَا يخرج عنها. ثم قرر المعذرة، وهو أنه لَا يملك من أمرهم شيئا، وإنما الأمر كله إلىٰ الله تعالىٰ، وأنه لَا يستطيع أن يجعل من ضعف نفوسهم قوة، ولا من استخذائهم عزة، ولا من تقاعدهم همة، ولا يملك إلا نفسه وأخاه، فهو لَا يضمن إلا إياهما، وهما وحدهما لَا يملكان الدخول إلىٰ هذه الأرض. وقد أكدت المعذرة بـ: ﴿إِنَّ﴾، وبالقصر، وعبر عن هارون بأخيه؛ للإشارة إلىٰ قوة إحساسه بأنه معه في طاعة ربه، وعدم عصيانه فيما أمر.

وإذا كانت تلك حاله، فهي مفترقة عن حال الذين معه؛ ولذلك الافتراق عنهم ما حكاه الله تعالىٰ: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾. الفرق معناه: الفصل بين شيئين أو شخصين فصلا حسيا أو معنويا، والمراد هنا والله أعلم: اجعل بيننا وبينهم فارقا في الحكم، وهو العدل بيننا وبين هؤلاء الفاسقين؛ لأننا لَا نرضىٰ بما يفعلون، ولسنا معهم في الإحساس وهذا التخاذل، فلسنا منهم في هذا، وليسوا منا في شيء،

(١) هذه الآية ذكرت بعد الآيات التالية قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَىٰ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة :١٩-٢٥]، والمعنىٰ : قال موسىٰ ﷺ لقومه: تذكَروا نعمة الله عليكم؛ بتتابع الأنبياء فيكم، من عهد إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. وتذكروا أن الله جعلكم ملوكا أحرارا؛ بعد أن كنتم مملوكين في أيدي القبط المصريين. والملك شرف الدنيا، فعندكم ما يكفيكم من الأزواج، والخدم، والدور، والأراضي المشجرة، وغير المشجرة. وأمدكم الله في زمان أسلافكم الذي كانوا فيه بالخيرات. وآيات موسىٰ مثل المنّ والسلوىٰ، والتّظليل بالغمام، وفلق البحر أو فرقه، وإنجاؤكم، وغرق عدوكم فرعون، وجنوده في البحر. ينظر : تفسير الطبري (١٠/ ١٨٧)، وتفسير السعدي (١/ ٢٢٨)، وزهرة التفاسير (٤/ ٢١١٨)، وأيسر التفاسير (١/ ٦١٧).

وافصل بيننا وبينهم في الآخرة؛ كما فصلت في الحكم بيننا وبينهم في الدنيا، والمؤدىٰ من قول سيدنا موسىٰ هذا هو أنه يبرئ نفسه منهم، ومن عملهم وخذلانهم، والفاسق هو: الخارج المنفصل بالحس أو المعنىٰ. والمعنىٰ: افرق بيننا وبين هؤلاء الذين خرجوا عن الطاعة، وعن مناط العزة، ورضوا بالذلة والهوان، ولا شك أن هذه الجملة تدل علىٰ ألم موسىٰ، واستنكاره لما هم عليه[١].

هدايات الآية:

١- بيان جبن اليهود، وسوء أدبهم مع ربهم، ومع أنبيائهم[٢].

٢- وجوب البراءة من أهل الفسق؛ ببغض عملهم وتركهم.

٣- الآصرة التي يجتمع أو يتفرق عليها المؤمنون؛ العقيدة لا جنس، ولا نسب، ولا قوم، ولا لغة، ولا تاريخ. فلا وشيجة من كل وشائج الأرض؛ إذا انقطعت وشيجة العقيدة، وإذا اختلف المنهج.

٤- عدم الحزن والتأسف علىٰ الفاسقين والظالمين؛ إذا حلت بهم العقوبة الإلهية جزاء فسقهم، وظلمهم لأنفسهم، ولغيرهم.

٥- تضمنت دعوة موسىٰ الألم، والالتجاء، والاستسلام، ثم المفاصلة والحسم.

٦- بيان قوة أخوة موسىٰ وهارون، لما كان قادرًا علىٰ التصرف في أخيه لطاعته

---

(١) ينظر: المراجع السابع.

(٢) وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم وأمة محمد ﷺ؛ حيث قال الصحابة لرسول الله ﷺ حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتم عليهم: يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد، ولا نقول كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ: **﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فقد روىٰ البخاري عن ابن مسعود قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا؛ لأن أكون صاحبه أحب إلىٰ مما عدل به: **(أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يومَ بدرٍ وهو يَدْعُو عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ يا رسولَ اللهِ، إِنَّا لاَ نَقُولُ لك كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لموسىٰ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ؛ يَعْنِىٰ قَوْلَهُ)**. وفي روايةٍ: **(ولكنِ امضِ ونحنُ معكَ. فكأنَهُ سُرِّيَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ)**. مختصر صحيح البخاري (٣/ ١٠).

له جعل ذلك ملكًا له.

٧- بيان اختلاف الأمم من قبلنا، ووقوعهم في الفتنة، وهلاكهم باختلافهم عَلَىٰ أنبيائهم، وما أكثر اختلاف النَّاس عَلَىٰ أنبيائهم[١].

آداب الدعاء:

١- تقديم الاعتذار بين يدي الطلب.

٢- بث الحزن والشكوىٰ إلىٰ الله تعالىٰ مع رقة القلب؛ والتي بمثلها تستجلب الرحمة، وتستنزل النصر: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ﴾ أي: أحدًا ألزمه قتالهم ﴿إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾.

٣- العدول عن الدعاء المباشر إلىٰ ما هو في معناه، ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ أي: فاحكم بما يميز بين المحق والمبطل؛ لتفرق ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن أمرك، وهو في معنىٰ الدعاء عليهم. قال هذا تحسرًا، وتحزنًا، واستجلابًا للنصر من الله تعالىٰ.

*　　*　　*

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي ص: (٣٥).

المبحث الخامس

أوصاف دعاء موسى ﷺ في القرآن الكريم

المطلب الأول: صيغ دعاء موسى ﷺ في القرآن الكريم:

تنوعت صيغ دعاء موسىٰ ﷺ في القرآن ما بين تعريض، وتصريح، والجمع بينهما، وفيما يلي ذكره:

أولًا : الدعاء بالصيغة الصريحة المباشرة، وكان في تسع آيات هي:

١ -﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

٢ - ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾.

٣- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٤ - ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

٥- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾.

٦ - ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٧-﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٨- ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى

وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

١٠- ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾.

ثانيًا: الدعاء بالتعريض وذلك في سبع آيات هي:

١ - ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

٢ - ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٣- ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

٤ - ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٥ - ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٦- ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

٧- ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ ﴾ .

ثالثًا: الدعاء بالتصريح، والتعريض معا، وذلك في قول الله تعالىٰ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

المطلب الثاني: أساليب دعاء موسى ﷺ في القرآن الكريم:

تنوعت أساليب دعاء موسىٰ عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم ما بين بسط وإيجاز كالتالي:

أولًا : أسلوب البسط، وكان في عشر آيات هي:

١ - ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

٢ - ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

٣- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٤ -﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ .

٥-﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾.

٦ - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٧- ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾.

٨- ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٩- ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾.

١٠ - ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

ثانيًا: أسلوب الإيجاز، وذلك في سبع آيات كالتالي:

١ - ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٢ - ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

٣ - ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾.

٤ - ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ ﴾.

٥ - ﴿ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠ ﴾.

٦ - ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾.

٧ - ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ ﴾.

المطلب الثالث: الدعوات العامة والخاصة لموسى ﷺ في القرآن الكريم:

ناجىٰ موسىٰ ﷺ ربه في القرآن بدعوات عامة، وأخرىٰ خاصة، وثالثة جمعت بينهما هي كالتالي:

أولًا: الدعوات الخاصة وعددها ست وهي:

١ - ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ ﴾.

٢ - ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ ﴾.

٣ - ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

٤ - ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾.

٥ - ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾.

٦ - ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾.

ثانيًا: الدعوات العامة، وهي خمس كالتالي:

١ - ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾.

٢ - ﴿ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠ ﴾.

٣ - ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾.

٤- ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾.

ثالثًا: الدعوات الخاصة والعامة، وهي خمس كالتالي:

١- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

٣- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾.

٤- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

٥- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

المطلب الرابع: التعليق على ما ورد من أوصاف لدعاء موسى ﷺ في القرآن الكريم:

إن المتأمل في دعوات موسىٰ ﷺ، المذكورة في كتاب الله تعالىٰ، يجدها كالتالي:

١- أنها دعوات عامة، وأخرىٰ خاصة، وكلها تجمع آدابًا وأوصافًا موحدة محمودة، وهي: كمال الصدق والإخلاص، وكمال الأدب مع الله، وحسن التعبير، والقصد، والإيجاز في موضعه، والبسط والترسل في موضعه، والتصريح، والتعريض.

وهي كذلك في دعوات الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، ولنبينا محمد ﷺ من ذلك الحظ الأوفر، والقِدح المعلىٰ؛ فقد أوتي جوامع الكلم، ومحاسن الدعاء.

٢- أن التصريح فيها غلب التعريض، وكذا البسط في الدعاء كان أكثر من الإيجاز، وتخصيص موسىٰ الدعاء لنفسه زاد عن تعميمه؛ مما يدل علىٰ أهمية البسط، والتصريح، والدعاء للنفس أثناء مناجاة الله تعالىٰ.

٣- اشتملت أدعية موسىٰ علىٰ جملة من الآداب هي:

أ- التوبة إلىٰ الله تعالىٰ واستغفاره.

ب- أن يدعو الداعي وهو في حال تضرع، وخشوع، وخضوع، وتذلل، وهو المطلوب قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

ج- أن يقدم بين يدي دعائه الثناء علىٰ الله تعالىٰ، وعدِّ نعمه وآلائه، والاعتراف بفضله، ووجوده.

د- العناية بالدعاء للآخرين؛ إذ الجميع مشتركون في الحاجة إلىٰ الخير.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

الحمد لله القريب المجيب، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

فبعد الوقوف مع دعوات موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم؛ تبين لي الحاجة الملحة لدراسة دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لمعرفة آداب الدعاء، وأسباب قبوله، وللاقتداء بهم. وقد خلصت إلىٰ عدد من النتائج، والتوصيات من أهمها:

١- اشتمل القرآن الكريم علىٰ أنواع في كيفية الطلب والدعاء. فتارة يكون الدعاء بصيغة الطلب، وتارة يكون بصيغة الخبر المتضمن للطلب، وتارة بالتصريح، وأخرىٰ بالتعريض؛ فحري بالمؤمن أن يجمع بين هذه التوسلات العلية في سؤاله، ورغبته.

٢- ذكر القرآن الكريم عن موسىٰ ﷺ جملة من أدعية؛ كل واحد منها يتعلق بمرحلة من مراحل حياته، وظروف دعوته.

٣- المناجاة الدائمة، والملازمة في الرحلة الطويلة الشاقة؛ التي عاشها موسىٰ ﷺ في مصر، وفي مدين، وفي سيناء. رحلة لا يتحملها إلا رسول ذو عزم. وقوة. وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ موسىٰ ﷺ في القرآن الكريم، ومن ثناء الله تعالىٰ قوله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾﴾ [مريم :٥١].

٤- موسىٰ ﷺ لجأ إلىٰ الدعاء في مواطن الشدة والرخاء؛ حيث إنه الاتصال المباشر في أي وقت بالله تعالىٰ.

٥- التزم موسىٰ ﷺ بالدعاء، وجعله منهج حياته في دفع الضرر، وجلب المنفعة، مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

٦- سؤالات موسىٰ ﷺ في القرآن كانت في الأحداث التالية:

أ- دعاء موسىٰ بعد قتل القبطي.

ب- سؤال موسىٰ ربه النجاة من فرعون وملئه.

ج- دعاء موسىٰ هداية السبيل في السفر.

د- دعاء موسىٰ عندما وصل ماء مدين.

هـ- دعاء موسىٰ عندما انطلق برسالته إلىٰ فرعون.

و- دعاء موسىٰ عند الخوف لأمن مكر الماكرين.

ز- سؤال موسىٰ ربه العصمة من قتل قومه له.

ح- دعاء موسىٰ علىٰ فرعون وملئه.

ط- دعاء موسىٰ وطلبه رؤية الله ﷻ.

ي- دعاء موسىٰ عندما ذهب يرجو المغفرة لكفر قومه.

ك- دعاء موسىٰ بعد موت السبعين الخيار من قومه.

ل- دعاء موسىٰ بعد أن عبد قومه العجل.

٧- تجلت أبرز صفات موسىٰ ﷺ من خلال دعواته وهي:

أ- الخوف لأخذ الحذر والاحتراس.

ب- التضرع لله رب العالمين.

ج- النصح للآخرين، والحرص علىٰ مستقبلهم تحرزًا من المحاذير والمخاطر.

د- الغضب لمحارم الله تعالىٰ علىٰ الظلم والمفاسد والكفر والشرك.

هـ- التسامح والعفو.

٨- تنوعت أدعية موسىٰ ﷺ في حواراته المتعددة وهي:

أ- دعاؤه في حواره مع رب العالمين.

ب- مناجاته في دعائه لنفسه.

ج- دعاؤه في حواره مع أخيه.

د- دعاؤه في حواره مع بني إسرائيل.

هـ- دعاؤه في حواره مع فرعون.

توصية:

أوصي بالدعوة إلىٰ العناية بدعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهمًا، وعلمًا، وسؤالًا، ومطلبًا؛ ففيها من الخيرات والمنافع الكثيرة التي تعود علىٰ العبد بما يصلح أموره.

* * *

المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد الغزالي الطوسي، ت: ٥٠٥ هـ، دار المعرفة، بيروت.

٢- أسرار البيان في التعبير القرآني، لفاضل السامرائي، المكتبة الشاملة.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ت: ١٣٩٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٤- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين – بيروت - لبنان، ط: ٨، ١٩٨٩م.

٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: ٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦- الإيمان، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم ابن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط:٥، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٧- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٨- تأملات قرآنية، لصالح المغامسي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٩- التحرير والتنوير: تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ت: ١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ.

١٠- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: ٣١٠هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ت: ٧٧٤هـ، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

١٣- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ.

١٤- التوصل إلىٰ حقيقة التوسل المشروع والممنوع، لأبي غزوان، محمد نسيب ابن عبد الرزاق ابن محيي الدين الرفاعي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط:٣، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: ١٣٧٦هـ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

١٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٨- الدرر المضية شرح الدرر البهية، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت: ١٢٥٠هـ، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٠٧هـ –

١٩٨٧م.

١٩- دروس للشيخ ياسر برهامي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net.

٢٠- الرسل والرسالات، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط:٤، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢١- زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد المشهور بأبي زهرة، ت: ١٣٩٤ه، دار الفكر العربي.

٢٢- سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٢٣- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسىٰ الترمذي، ت: ٢٧٩هـ تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عوض، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، ط:٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٤- شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، ت: ٣٨٨هـ، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط:١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٥- شرح الرسالة التدمرية، لمحمد الخميس، دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٦- شرح العقيدة الطحاوية، لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين، ت: ١٤٣٠هـ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net.

٢٧- شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علاء الدين بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الدمشقي، ت: ٧٩٢هـ، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: الألباني، دار السلام، ط:١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٨- صحيح أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط:١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٩- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله، ت:٢٥٦هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط:٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
٣١- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم القاسمي، ت: ٨٤٠هـ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٢- في ظلال القرآن، لسيد قطب، ت: ١٣٨٥هـ دار الشروق بيروت، ط:١٧، ١٤١٢هـ.
٣٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت: ٥٣٨هـ دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ.
٣٤- لسان العرب، لابن منظور الأنصاري، ت:٧١١هـ، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ.
١١- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.
٣٥- مختصر صحيح البخاري، للألباني، ت: ١٤٢٠هـ، مكتَبة المَعارف، الرياض، ط:١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٣٦- مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٠هـ.
٣٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني، ت: ٢٤١هـ، المحقق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط:١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٣٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، لمسلم

ابن الحجاج، أبو الحسن النيسابوري، ت: ٢٦١هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٩- المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأحمد أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ٢٠٠٣م.
٤٠- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبوالحسين، ت: ٣٩٥هـ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤١- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت:٥٠٢هـ، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ.
٤٢- من بلاغة القرآن، لأحمد البدوي، ت ١٣٨٤هـ، الناشر: نهضة مصر القاهرة، ٢٠٠٥م.
٤٣- الموسوعة القرآنية، لإبراهيم الأبياري، ت: ١٤١٤هـ، مؤسسة سجل العرب، ط ١٤٠٥هـ.
٤٤- موسىٰ عليه السلام من وحي القرآن، لعقيل عقيل، دار ابن كثير، ط:١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٤٥- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.
٤٦- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، ت: ٤٦٨هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وأحمد صيرة، وأحمد الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

* * *